

صفات عباد الرحمن

كما تصورها سورة الفرقان

دراسة موضوعية

إعداد

د / أحمد إمام عبد العزيز عبيد

مدرس التفسير وعلوم القرآن كلية أصول الدين بطنطا

جامعة الأزهر

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد

فإن هذا هو ثاني بحث أشرف بتقديمه ؛ ليُنشر في حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق – جامعة الأزهر .

أسباب اختياري لهذا البحث

وقع اختياري على هذا البحث ؛ لأنه يتعلق بتفسير آيات من سورة الفرقان ، تبين صفات عباد الرحمن ، التي بها استحقوا دخول أعلى الجنان ، فكانت هذه محاولة مني لإلقاء الضوء على هذه الصفات المهمة ، التي يجب على الأمة الإسلامية جمعاء التحلي بها ؛ حتى تصل إلى ما وصل إليه أصحابها .

الدراسات السابقة

بعد البحث والاطلاع لم أجد من أفرد هذه الصفات ببحث مستقل ، والله تعالى أعلى وأعلم.

منهج البحث

اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي والتحليلي ، حيث قمت بدراسة صفات عباد الرحمن وتحليلها ، مستعيناً بالقرآن ، والسنة ، وأقوال الصحابة والتابعين ، مع ذكر المناسبات بين الآيات ، والقراءات ، وبعض الأمور التي ذكرها المفسرون التي تتعلق بالآيات .

هيكل البحث

قسمت هذا البحث إلى مقدمة ، وثمانية مباحث ، وخاتمة :

أما المقدمة فقد تناولت الحديث فيها عن أسباب اختيار البحث ، ومنهجه ، وهيكله .

وأما المباحث فهي كالآتي :

المبحث الأول : بين يدي سورة الفرقان .

المبحث الثاني : الصفتان : الأولى ، والثانية لعباد الرحمن .

المبحث الثالث : الصفة الثالثة لعباد الرحمن .

المبحث الرابع : الصفة الرابعة لعباد الرحمن .

المبحث الخامس : الصفة الخامسة لعباد الرحمن .

المبحث السادس : الصفات : السادسة ، والسابعة ، والثامنة لعباد الرحمن

.المبحث السابع : الصفات : التاسعة ، والعاشرة ، والحادية عشرة لعباد الرحمن .

المبحث الثامن : الجزاء الذي أعده الله تعالى لمن اتصف بهذه الصفات .

وأما الخاتمة فقد تناولت فيها الحديث عن أهم نتائج البحث .

ثم ذيلت البحث بفهرس للمصادر والمراجع ، رتبته أبجدياً ، ذاكراً اسم الكتاب أولاً ، ثم المؤلف ، ثم المحقق ، ثم دار النشر ، ثم رقم الطبعة وتاريخها . ثم آخراً فهرس الموضوعات .

والله أسأل أن أكون قد وفقت في هذا البحث ، وأن يهديني لما اختُلف فيه من الحق بإذنه ، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه ، وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة ، وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين ، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المبحث الأول : بين يَدي سورة الفرقان

اسم السورة : سورة الفرقان لأنه ورد فيها ذكر الفرقان في أولها قال تعالى : " تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا " (الفرقان : ١) .

والفرقان اسم من أسماء القرآن الكريم ، سُمِّيَ بذلك ؛ لأنه يفرِّقُ بين الحق والباطل بالحجة القاطعة والبرهان الساطع ، ففرقان بمعنى فارق ، أو لأنه مفروق بعضه عن بعض في النزول (١) .

عدد آياتها : سبع وسبعون آية (٢) .

عدد كلماتها : ثمانمائة واثنتان وسبعون كلمة (٣) .

عدد حروفها : ثلاثة آلاف وسبعمائة وثمانون حرفاً (٤) .

وقت نزولها : نزلت بعد سورة يس وقبل سورة فاطر (٥) .

---

(١) يُنظر الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي ج١ صـ ١٧٨ ، ومناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ الرقاني ج١ صـ ١٤ ، ومباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان صـ ١٧ ، ودراسات في علوم القرآن للشيخ محمد بكر إسماعيل صـ ١٩ .

(٢) يُنظر تفسير السمرقندي ج ٢ صـ ٥٢٨ ، والكشاف للإمام الزمخشري ج ٣ صـ ٢٦٢ ، وتفسير البيضاوي ج ٤ صـ ١١٧ ، والدر المنثور في التفسير بالمأثور للإمام السيوطي ج ٦ صـ ٢٣٤ ، وتفسير أبي السعود ج ٦ صـ ٢٠٠ .

(٣) يُنظر تفسير النيسابوري ج ٥ صـ ٢١٩ .

(٤) يُنظر السابق نفس الجزء والصفحة .

(٥) يُنظر الكشاف للإمام الزمخشري ج ٣ صـ ٢٦٢ والتحرير والتنوير للإمام محمد الطاهر بن عاشور ج ٨ صـ ٣١٣ .

وسورة الفرقان مكية في قول الجمهور ، أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل من طرق عن ابن عباس قال : نزلت سورة الفرقان بمكة ، وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير قال : نزلت بمكة سورة الفرقان (١).

وحكي عن ابن عباس وقتادة أنهما قالا : إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة ، وهي قوله تعالى " وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ "(الفرقان ٦٨ : ٧٠) (٢) .

والصحيح عن ابن عباس أن هذه الآيات مكية ؛ لما أخرجه الإمام البخاري قال : حدثنا إِبْرَاهِيمُ بن مُوسَى أخبرنا هِشَامُ بن يُوسُفَ أَنَّ بن جُرَيْجٍ أَخْبَرَهُمْ قال : أخبرني الْقَاسِمُ بن أبي بَزَّةَ أَنَّهُ سَأَلَ سَعِيدَ بن جُبَيْرٍ هل لِمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا من تَوْبَةٍ ؟ فَقَرَأْتُ عليه) ولا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ التي حَرَّمَ الله إلا بِالْحَقِّ (فقال سَعِيدٌ : قَرَأْتُهَا على ابن عَبَّاسٍ كما قَرَأْتَهَا عَلَيَّ فقال : هذه مَكِّيَّةٌ نَسَخَتْهَا آيَةٌ مَدَنِيَّةٌ التي في سُورَةِ النِّسَاءِ " (٣) .

---

(١) يُنظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور للإمام السيوطي ج ٦ صـ ٢٣٤ ، وفتح القدير للإمام الشوكاني ج ٤ صـ ٥٩ .

(٢) يُنظر الكشاف للإمام الزمخشري ج ٣ صـ ٢٦٢ ،وزاد المسير للإمام جمال الدين بن الجوزي ج٣ صـ ٣١١ ، وتفسير أبي السعود ج ٦ صـ ٢٠٠ ، وفتح القدير للإمام الشوكاني ج ٤ صـ ٧٠ .

(٣) صحيح البخاري –كتاب التفسير – باب تفسير سورة الفرقان – حديث رقم (٤٤٨٤) =

وقال الضحاك هي مدنية وفيها آيات مكية وهي قوله تعالى " وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ " الآيات (١) .

ما ورد في فضلها :

ذكر بعض المفسرين حديثًا في فضلها (٢)، وهو ما أخرجه الإمام البخاري قال : حدثنا سَعِيدُ بن عُفَيْرٍ قال : حدثني اللَّيْثُ قال : حدثني عُقَيْلٌ عن بن شِهَابٍ قال : حدثني عُرْوَةُ بن الزُّبَيْرِ أَنَّ الْمِسْوَرَ بن مَخْرَمَةَ وَعَبْدَ الرحمن بن عَبْدٍ القارىء حَدَّثَاهُ أَنَّهُمَا سَمِعَا عُمَرَ بن الْخَطَّابِ يقول : " سمعت هِشَامَ بن حَكِيمٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ في حَيَاةِ رسول اللَّهِ ﷺ فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِهِ فإذا هو يَقْرَأُ على حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لم يُقْرِئْنِيهَا رسول اللَّهِ ﷺ ، فَكِدْتُ أُسَاوِرُهُ في الصَّلَاةِ ، فَتَصَبَّرْتُ حتى سَلَّمَ فَلَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ ، فقلت : من أَقْرَأَكَ هذه السُّورَةَ التي سَمِعْتُكَ تَقْرَأُ ؟ قال : أَقْرَأَنِيهَا رسول اللَّهِ ﷺ ، فقلت : كَذَبْتَ فإن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قد أَقْرَأَنِيهَا على غَيْرِ ما قَرَأْتَ ، فَانْطَلَقْتُ بِهِ أَقُودُهُ إلى رسول اللَّهِ ﷺ ، فقلت : إني سمعت هذا يَقْرَأُ بِسُورَةِ الْفُرْقَانِ على حُرُوفٍ لم تُقْرِئْنِيهَا ، فقال رسول اللَّهِ ﷺ : أَرْسِلْهُ اقْرَأْ يا هِشَامُ ، فَقَرَأَ عليه الْقِرَاءَةَ التي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ ، فقال رسول اللَّهِ ﷺ : كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ ، ثُمَّ قال : اقْرَأْ يا عُمَرُ ، فَقَرَأْتُ الْقِرَاءَةَ

= ج٤ صـ ١٧٨٤ .

(١) يُنظر تفسير ابن عطية ج ٤ صـ ١٩٩ .

(٢) يُنظر تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ محمد الأمين الهرري الشافعي ج١٩ صـ ٤٦٥، وقد ذكره بعض المفسرين في أول تفسيرهم لسورة الفرقان دون النص على أنه من فضائل السورة، يُنظر الدرر المنثور في التفسير بالمأثور للإمام السيوطي ج٦ صـ ٢٣٤، والتحرير والتنوير للإمام الطاهر بن عاشور ج١٨ صـ ٣١٣.

التي أَقْرَأَنِي ، فقال رسول اللَّهِ ﷺ : كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ ، إِنَّ هذا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ على سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فاقرؤوا ما تَيَسَّرَ منه "(١) .

والصواب أن هذا الحديث لا يدل على فضل السورة؛ فلم يُذكر فيه أي فضيلة لها أو لقراءتها.

مقاصد السورة :

بدأت هذه السورة بتنزيه الله الذي أنزل القرآن على عبده محمد ﷺ وخَلَق السموات والأرض وكل شيء فيهما، ثم نَعتْ على المشركين أنهم أَشركوا به من لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، كما نعت عليهم وصفهم للقرآن بأنه أساطير الأولين، مع أن الله الذي يعلم السر في السموات والأرض هو الذي أنزله، كما نعَتْ عليهم إنكارهم لنبوة محمد ﷺ لأنه بشر يأكل الطعام ويمشى في الأسواق، وليس معه ملك يشاركه الإنذار، ولأنه فقير وليس له جنة يأْكل منها، مع أن ذلك ليس قادحًا في نبوته.

كما نعت عليهم تكذيبهم بالساعة، وحكت أهوال النار التي سوف يصلونها، وقارنت بينها وبين الجنة التي وُعد بها المتقون، ثم بينت أَن المرسلين قبله كانوا يأْكلون الطعام ويمشون في الأسواق، فلا وجه لاعتراضهم على نبوة محمد ﷺ بأكله الطعام ومشيه في الأسواق.

ثم تحدثت عن أهوال يوم القيامة، وأن الحكم يومئذ لله وحده، وأَن

---

(١) صحيح البخاري –كتاب فضائل القرآن – باب أنزل القرآن على سبعة أحرف – حديث رقم (٤٧٠٦) ج٤ صـ١٩٠٩ .

والحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه – كتاب صلاة المسافرين وقصرها – باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف وبيان معناه – حديث رقم (٨١٨) ج١ صـ٥٦٠ .

الظالم حينئذ يعض على يديه لعدم اتباعه الرسول، وإيثاره أهل الضلال عليه.

ثم ذكرت أن المشركين قالوا: لماذا لم ينزل القرآن جملة واحدة، وأجابت بأنه أنزل على فترات لكي يثبته الله في فؤاده ﷺ لأنه كان أُميًّا لا يقرأ ولا يكتب.

ثم تحدثت عن إرسال موسى وهارون إلى فرعون وقومه، فلما كذبوهما دمرهم الله تدميرًا، وتحدثت عن تكذيب قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم لأنبيائهم، وأَن الله أهلكهم بسبب تماديهم في تكذيب رسلهم.

ونعت على قريش أنهم أتوا على قرية قوم لوط، وعلموا بإهلاكهم، لتكذيبهم رسولهم ورفضهم نصائحه، حيث أهلكهم الله بحجارة من سجيل أنزلها عليهم من السماء, وذكرت أن قريشًا استمروا في تكذيبهم واستهزائهم برسولهم قائلين: {هَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا} وبينت أنهم كالأنعام بل هم أضل سبيلًا، لأنهم لم يعتبروا بما حصل لمن قبلهم.

وتحدثت عن الآيات الكونية الدالة على قدرة الله واستحقاقه العبادة وحده، فذكرت أَن ظل الأجسام في النهار لا يبقى علي حالة واحدة، فإنه تعالى يمده ثم يقبضه شيئا فشيئا، بإحلال ضوء الشمس محله، ولو شاء الله لجعله ساكنا لا ينقبض، بجعل الشمس ثابتة على وضع مائل دائمًا، وأنه جعل الليل كاللباس في ستره الأجسام وجعل النوم راحة للأبدان تشبه الموت، وجعل النهار نشاطًا لها يشبه البعث والنشور بعد الموت، وأرسل الرياح ناشرات للسحاب بين يدى رحمته سبحانه، حيث جعلها مبشرات بالمطر الذي هو من آثار رحمة الله، إذ به يحيا الإنسان والنبات والحيوان، وبينت السور أن الله

صرف الحديث عن آياته في كتبه السماوية {فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا}.

ثم بينت أنه تعالى أرسل البحرين، هذا عذب فرات، وهذا ملح أُجاج، وجعل بينهما حاجزاً، بحيث يؤدي كلاهما وظيفته في مصالح الإنسان والحيوان والنبات.

وذكرت أنه تعالى خلق من ماء الزوجين بشرًا، فجعل هذا البشر إما نسيبًا وقريبًا, وإما صهرًا، وكل ذلك دليل على قدرة الله ووحدانيته، ومع هذه الآيات يعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرًا.

ثم بينت أنه تعالى ما أرسل محمدًا ﷺ إلا مبشرًا ونذيرًا، وليس عليه إلا البلاغ وقد فعل، وأنه ﷺ ما يسألهم على التبليغ من أجر إلا أن يسلكوا سبيل العبادة لله وحده، وذلك شاهد على صدقه ونزاهته في دعوته.

وحثت النبي ﷺ على أن يتوكل على الحى لا يموت، ويترك حساب الناس لربهم، فإنه خبير بذنوبهم، وأنه لا يضيق صدره بكفرهم وعنادهم.

وبينت أن قريشًا تنكر وصف الله بالرحمن {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا}.

ثم بينت أن عباد الرحمن هم الذين يمشون على الأرض متواضعين، وأنهم يسالمون من يجهل عليهم ويشاركونه ولا يجارونه في سفهه، ووصفتهم بأنهم يتعوذون بالله من جهنم، وأنهم في إنفاقهم يتوسطون بين التبذير والتقتير وأنهم لا يدعون مع الله إلها آخر، ولا يقتلون نفسًا بغير حق ولا يزنون , وأَن من تاب منهم من ذنبه توبة نصوحًا فإن الله تعالى يقبل توبته وأنهم إذا ذُكروا

بآيات ربهم تأثروا بها ولم يخروا عليها صمًّا وعميانا، وأنهم يطلبون من الله أن يجعل لهم من أفواجهم وذرياتهم قرة أَعين، ويجعلهم للمتقين إماما، وأنهم يجزون الغرف العالية في الجنة بصبرهم على طاعة الله، ويُحَيَّوْن فيها بالسلام والأمان {خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا} وأنه تعالى لا يعبأ بعباده لولا عبادتهم ودعاؤهم إياه فإن كذبوا رسله فسوف يكون عذابه ملازما لهم (١) .

أغراض السورة :

اشتملت هذه السورة على الابتداء بتمجيد الله تعالى وإنشاء الثناء عليه، ووصفه بصفات الإلهية والوحدانية فيها.

وأدمج في ذلك التنويه بالقرآن، وجلال مُنزله، وما فيه من الهدى، وتعريض بالامتنان على الناس بهديه وإرشاده إلى اتقاء المهالك، والتنويه بشأن النبي ﷺ وأقيمت هذه السورة على ثلاث دعائم:

الأولى: إثبات أن القرآن منزل من عند الله، والتنويه بالرسول المنزل عليه ﷺ ودلائل صدقه، ورفعة شأنه عن أن تكون له حظوظ الدنيا، وأنه على طريقة غيره من الرسل، ومن ذلك تلقي قومه دعوته بالتكذيب.

الدعامة الثانية: إثبات البعث والجزاء، والإنذار بالجزاء في الآخرة، والتبشير بالثواب فيها للصالحين، وإنذار المشركين بسوء حظهم يومئذ، وتكون لهم الندامة على تكذيبهم الرسول وعلى إشراكهم واتباع أيمة كفرهم.

الدعامة الثالثة: الاستدلال على وحدانية الله، وتفرده بالخلق، وتنزيهه

---

(١) التفسير الوسيط لمجموعة من العلماء تحت إشراف مجمع البحوث الإسلامية ج ٦ صـ ١٤٧٧ ، وما بعدها .

عن أن يكون له ولد أو شريك، وإبطال إلهية الأصنام، وإبطال ما زعموه من بنوة الملائكة لله تعالى.

وافتتحت في آيات كل دعامة من هذه الثلاث بجملة «تبارك الذي» إلخ (١) .

---

(١) التحرير والتنوير للإمام محمد الطاهر بن عاشور ج ١٨ صـ ٣١٤ .

المبحث الثاني : الصفتان : الأولى ، والثانية لعباد الرحمن

ويصورها قوله تعالى " وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ " (الفرقان : ٦٣) .

المناسبة بين هذه الآية وما قبلها :

أنه سبحانه لما وصف الكفار في هذه السورة بما وصفهم به من الفظاظة والغلظة على النبي ﷺ وعداوتهم له، ومظاهرتهم على خالقهم، ونحو ذلك من جلافتهم ، وختم بالتذكر والشكر، وكان التقدير: فعباد الشيطان لا يتذكرون ولا يشكرون ، لما لهم من القسوة ، عطف على هذا المقدر أضدادهم ، واصفاً لهم بأضداد أوصافهم ، مبشراً لهم بضد جزائهم، فقال: وعباد {الرحمن} (١).

معاني المفردات (٢) :

{يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا}: أَي مشيًا لينا بسكينة ووقار وتواضع.

{الْجَاهِلُونَ}: المراد بهم السفهاء .

{قَالُوا سَلَامًا}: أَي قالوا للسفهاءِ تسليمًا منكم، ومتاركة لكم وبُعْدًا عنكم.

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي ج ١٣ ص ٤٢٠ .

وقد ذكر هذه المناسبة الإمام أبو السعود باختصار يُنظر تفسير أبي السعود ج٦ ص ٢٢٨ .

(٢) التفسير الوسيط لمجموعة من العلماء تحت إشراف مجمع البحوث الإسلامية ج٧ ص ١٥٣٨ .

التفسير بالقرآن :

صدر الآية يبين فيه الحق جل وعلا أن عباد الرحمن يمشون على الأرض هوناً ، أي يتواضعون ولا يتكبرون ، فيمشون مشياً هيناً بتؤدة وتواضع ولا يتطاولون ولا يتبخترون في مشيتهم ، وقد أكد الحق سبحانه وتعالى هذا المعنى في أكثر من آية فقال تعالى : " وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا" (الإسراء : ٣٧) ، **وقال أيضاً في وصية لقمان لابنه** : " وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ (لقمان : ١٨ ، ١٩) .

أما عجز الآية فيبين فيه الحق جل وعلا أن عباد الرحمن إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ، وهذا يحتمل وجهين :

الأول : أنهم يعفون ويصفحون ولا يقابلون السيئة بالسيئة وإنما يتجاوزون ويغفرون ، وقد أكد الحق جل وعلا هذا المعنى في آيات كثيرة ، منها :

" ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ " (**آل عمران : ١٣٤**) ، **وقال أيضا** " خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ " (**الأعراف : ١٩٩**) ، **وقال أيضا** " وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾" (**النحل : ١٢٦**

: ١٢٨) ، **وقال أيضا** " وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ " (**النور : ٢٢**) ، **وقال أيضا** : " وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ " (**فصلت : ٣٤**) .

الثاني : أنهم إذا سمعوا كلاماً لا يليق من الجاهلين سواء كانوا مسلمين أم غير مسلمين قالوا سلاماً لكم أي تسليماً ومتاركة لكم فلا نخوض فيما خضتم فيه ، وقد أكد المولى عز وجل هذا المعنى في كثير من آياته ، منها :

قوله تعالى : " وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ " (**القصص : ٥٥**) ، **وقوله تعالى** : " وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا "(**النساء : ١٤٠**) ، **وقوله تعالى** : " وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ " (**يونس : ٦٨**) .

التفسير بالحديث الشريف :

وردت أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ تدعو للتواضع وتحث عليه وتبين منزلة المتواضعين ، منها :

١ – ما أخرجه الإمام مسلم قال : حدثنا يحيى بن أَيُّوبَ وَقُتَيْبَةُ وبن حُجْرٍ قالوا : حدثنا إسماعيل وهو بن جَعْفَرٍ عن الْعَلَاءِ عن أبيه عن أبي هُرَيْرَةَ عن رسول اللَّهِ ﷺ قال : " ما نَقَصَتْ صَدَقَةٌ من مَالٍ ، وما زَادَ الله عَبْدًا بِعَفْوٍ إلا عِزًّا ، وما تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إلا رَفَعَهُ الله " (١) .

٢ – ما أخرجه الإمام أبو داود قال : حدثنا أَحْمَدُ بن حَفْصٍ قال : حدثني أبي حدثني إِبْرَاهِيمُ بن طَهْمَانَ عن الْحَجَّاجِ عن قَتَادَةَ عن يَزِيدَ بن عبد اللَّهِ عن عِيَاضِ بن حِمَارٍ أَنَّهُ قال : قال رسول اللَّهِ ﷺ : " إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إلي أَنْ تَوَاضَعُوا حتى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ على أَحَدٍ ولا يَفْخَرَ أَحَدٌ على أَحَدٍ "(٢).

---

(١) صحيح مسلم – كتاب البر والصلة والآداب – باب استحباب العفو والتواضع – حديث رقم (٢٥٨٨) ج٤ صـ ٢٠٠١ .

(٢) سنن أبي داود – كتاب الأدب – باب في التواضع – حديث رقم (٤٨٩٥) ج٤ صـ ٢٧٤ .

وهو جزء من حديث صحيح أخرجه الإمام مسلم في صحيحه – كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها – باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار – حديث رقم (٢٨٦٥) ج٤ صـ ٢١٩٨ .

والحديث أخرجه الإمام ابن ماجة في سننه – كتاب الزهد – باب البغي – حديث رقم (٤٢١٤) ج٢ صـ ١٤٠٩ .

والإمام إسحاق بن راهوية في مسنده – حديث رقم (٤٠٥) ج١ صـ ٣٨٠ .

كما وردت أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ تحذر من الكبر وتنهى عنه وتبين عقوبته في الدنيا والآخرة ، منها :

١ – ما أخرجه الإمام البخاري قال : حدثنا آدَمُ حدثنا شُعْبَةُ حدثنا محمد بن زِيَادٍ قال : سمعت أَبَا هُرَيْرَةَ يقول : قال النبي أو قال أبو الْقَاسِمِ ﷺ : " بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي في حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ إِذْ خَسَفَ الله بِهِ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ " (١) .

٢ – ما أخرجه الإمام مسلم قال : حدثنا محمد بن الْمُثَنَّى وَمُحَمَّدُ بن بَشَّارٍ وَإِبْرَاهِيمُ بن دِينَارٍ جميعاً عن يحيى بن حَمَّادٍ قال ابن الْمُثَنَّى : حدثني يحيى بن حَمَّادٍ أخبرنا شُعْبَةُ عن أَبَانَ بن تَغْلِبَ عن فُضَيْلٍ الْفُقَيْمِيِّ عن إبراهيم النَّخَعِيِّ عن عَلْقَمَةَ عن عبد اللَّهِ بن مَسْعُودٍ عن النبي ﷺ قال : " لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ من كان في قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ من كِبْرٍ ، قال رَجُلٌ : إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قال : إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ الناس"(٢).

٣ – ما أخرجه الإمام مسلم قال : حدثنا أبو بَكْرِ بن أبي شَيْبَةَ حدثنا وَكِيعٌ وأبو مُعَاوِيَةَ عن الْأَعْمَشِ عن أبي حَازِمٍ عن أبي هُرَيْرَةَ قال : قال رسول

والإمام الطبراني في المعجم الكبير – حديث رقم (١٠٠٠) ج١٧ صـ ٣٦٤ .

(١) صحيح البخاري –كتاب اللباس – باب من جر ثوبه من الخيلاء – حديث رقم (٥٤٥٢) ج٥ صـ ٢١٨٢ .

والحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه –كتاب اللباس والزينة – باب تحريم التبختر في المشي مع إعجابه بثيابه – حديث رقم (٢٠٨٨) ج٣ صـ ١٦٥٤ .

(٢) صحيح مسلم –كتاب الإيمان – باب تحريم الكبر وبيانه – حديث رقم (٩١) ج١ صـ ٩٣ .

اللَّهِ ﷺ : " ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمْ الله يوم الْقِيَامَةِ ولا يُزَكِّيهِمْ ، قال أبو مُعَاوِيَةَ : ولا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ : شَيْخٌ زَانٍ ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ " (١) .

ووردت أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ تدعو وترغب في العفو والصفح وعدم مقابلة السيئة بالسيئة بل بالحسنة ، منها :

١ – ما أخرجه الإمام مسلم قال : حدثنا يحيى بن أَيُّوبَ وَقُتَيْبَةُ وبن حُجْرٍ قالوا : حدثنا إسماعيل وهو بن جَعْفَرٍ عن الْعَلَاءِ عن أبيه عن أبي هُرَيْرَةَ عن رسول اللَّهِ ﷺ قال : " ما نَقَصَتْ صَدَقَةٌ من مَالٍ ، وما زَادَ الله عَبْدًا بِعَفْوٍ إلا عِزًّا ، وما تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إلا رَفَعَهُ الله " (٢) .

٢ – ما أخرجه الإمام أحمد قال : حدثنا عبد اللَّهِ حدثني أبي ثنا يَزِيدُ أنا جرير ثنا حَبَّانُ الشرعبي عن عبد اللَّهِ بن عَمْرِو بن العاصي عَنِ النبي ﷺ أَنَّهُ قال وهو على الْمِنْبَرِ : " ارْحَمُوا تُرْحَمُوا وَاغْفِرُوا يَغْفِرِ الله لَكُمْ وَيْلٌ لأَقْمَاعِ الْقَوْلِ وَيْلٌ لِلْمُصِرِّينَ الَّذِينَ يُصِرُّونَ على ما فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ" (٣) .

---

(١) صحيح مسلم – كتاب الإيمان – باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية وتنفيق السلعة بالحلف وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم – حديث رقم (١٠٧) ج١ صـ ١٠٢ .

(٢) صحيح مسلم – كتاب البر والصلة والآداب – باب استحباب العفو والتواضع – حديث رقم (٢٥٨٨) ج٤ صـ ٢٠٠١ .

(٣) مسند أحمد – حديث رقم (٦٥٤١) ج٢ صـ ١٦٥.

والحديث أخرجه الإمام عبد بن حميد في مسنده – حديث رقم (٣٢٠) ج١ صـ ١٣١ .

والإمام الطبراني في مسند الشاميين – حديث رقم (١٠٥٥) ج٢ صـ ١٣٣ .

التفسير بالآثار الواردة عن الصحابة والتابعين :

رُوي عدة أقوال عن الصحابة والتابعين في تفسير هذه الآية ، منها :

١ – أنهم يمشون عليها بالسكينة والوقار ، وبه قال : مجاهد ، وعكرمة ، وعمرو الملائي .

٢ – أنهم يمشون عليها بالطاعة والتواضع ، وبه قال : ابن عباس ، وزيد بن أسلم .

٣ – أنهم يمشون عليها بالحلم لا يجهلون على من جهل عليهم ، وبه قال : عكرمة ، والحسن (١) .

سر إضافة كلمة عباد إلى الرحمن :

الإضافة للتشريف ، أو لبيان أنهم هم الراسخون في عبادته ، يقول الإمام الشوكاني : " وَعِبادُ الرَّحْمنِ مبتدأ خبره أولئك يجزون الغرفة أضاف الى نفسه تشريفاً لهم وإظهاراً لفضلهم أو لأنهم هم الراسخون في عبادته "(٢)

ويقول الشيخ الصابوني : " الإِضافة للتشريف أي العباد الذين يحبهم الله وهم جديرون بالانتساب إليه هم الذين يمشون على الأرض في لين وسكينة

والإمام البخاري في الأدب المفرد – حديث رقم (٣٨٠) صـ ١٣٨ .

والإمام أبو علي الأشيب في جزء أشيب – حديث رقم (٥٤) صـ ٧٦ .

قال الإمام الهيثمي : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير حبان بن يزيد الشرعبي ووثقه ابن حبان ورواه الطبراني كذلك ، يُنظر مجمع الزوائد ج١٠ صـ ٣١١ .

(١) يُنظر تفسير الطبري ج١٩ صـ ٢٩٤ وما بعدها .

(٢) فتح القدير ج٧ صـ ٤٥ ، ويُنظر التفسير المظهري للإمام محمد ثناء الله المظهري ج٧ صـ ٤٥ .

ووقار ، لا يضربون بأقدامهم أشراً ولا بطراً ، ولا يتبخترون في مشيتهم " (١).

سر التعبير باسم الله الرحمن دون غيره من أسماء الله تعالى :

أنهم موصوفون بكمال الرحمة وموعودون بها من الله عز وجل ، يقول الإمام الشوكاني : " وذكر من أسمائه اسم الرحمن إشعاراً بأنهم موصوفون بكمال الرحمة على الخلق وموعودون بكمال رحمة الله عليهم " (٢) .

سر التعبير بلفظ عباد دون عبيد :

أن لفظ عباد لا تطلق إلا على المؤمنين بخلاف لفظ عبيد فهي تطلق على المؤمن والكافر ، يقول الشيخ الشعراوي : " فإذا كنت تحب الله فأنت تأتيه عن اختيار. تتنازل عما يغضبه حباً فيه ، وتفعل ما يطلبه حباً فيه وليس قهراً . فاذا تخليت عن اختيارك الى مرادات الله في منهجه . تكون قد حققت عبادة المحبوبية لله تبارك وتعالى . وتكون قد أصبحت من عباد الله وليس من عبيد الله . فكلنا عبيد لله سبحانه وتعالى، والعبيد متساوون فيما يقهرون عليه . ولكن العباد الذين يتنازلون عن منطقة الاختيار لمراد الله في التكليف . ولذلك فإن الحق جل جلاله . يفرق في القرآن الكريم بين العباد والعبيد . يقول تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الداع إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} [البقرة: ١٨٦] ويقول سبحانه وتعالى: {وَعِبَادُ الرحمن الذين يَمْشُونَ على الأرض هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجاهلون قَالُواْ سَلاَماً وَالَّذِينَ يِبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً والذين يَقُولُونَ رَبَّنَا اصرف عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً} [الفرقان: ٦٣ - ٦٥] وهكذا نرى أن

---

(١) صفوة التفاسير ج٢ صـ ٣٣٩ .

(٢) فتح القدير ج٧ صـ ٤٥ ، ويُنظر التفسير المظهري للإمام محمد ثناء الله المظهري ج٧ صـ ٤٥ .

الله سبحانه وتعالى أعطى أوصاف المؤمنين وسماهم عباداً . ولكن عندما يتحدث عن البشر جميعاً يقول عبيد . مصداقا لقوله تعالى: {ذلك بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ الله لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ} [آل عمران: ١٨٢] " (١) .

وهذا الإطلاق يكون في الدنيا أما في الآخرة فكلنا عباد لله يطلق علينا لفظ العباد ، يقول الشيخ الشعراوي : " ولكن قد يقول قائل: أن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه العزيز: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلاَءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السبيل} [الفرقان: ١٧] الحديث هنا عن العاصين والضالين . ولكن الله سبحانه وتعالى قال عنهم عباد ، نقول : إن هذا في الاخرة ، وفي الآخرة كلنا عباد ؛ لأننا مقهورون لطاعة الله الواحد المعبود تبارك وتعالى ؛ لأن الاختيار البشري ينتهي ساعة الاحتضار ، ونصبح جميعاً عباداً لله مقهورين على طاعته لا اختيار لنا في شيء " (٢) .

---

(١) تفسير الشعراوي ج١ صـ ٨١ ، ٨٢ .

(٢) السابق ج١ صـ ٨٢ .

هل هذه الآية منسوخة أو محكمة :

اختلف العلماء في ذلك ، فيرى البعض أنها منسوخة بآية السيف ، وهي قوله تعالى : " فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ " (التوبة : ٥) .

بينما يرى الجمهور أنها محكمة غير منسوخة ، ويرى ابن حزم أن حكمها منسوخ في حق الكافرين دون المؤمنين .

وحجة من يرى أنها منسوخة أن الآية مكية ، وكان ذلك قبل الأمر بقتال المشركين ، وأن الآية تفيد معنى الأمر ، فلذلك جاز نسخها .

بينما يرى الجمهور أن الآية إخبار من الله تعالى عن صفات عباد الرحمن ، والأخبار لا يجوز فيها النسخ ، وأيضاً لأن اسم الجاهل يعم المشرك وغيره، فإذا خاطبهم مشرك، قالوا: السداد والصواب في الرد عليه ، وحسن (المحاورة) في الخطاب لا ينافي القتال فلا وجه للنسخ (١) .

والراجح هو قول الجمهور ؛ لقوة أدلته ؛ ولأن الآيتين لا تعارض بينهما ، والنسخ لا يُلجأ إليه إلا عند التعارض .

المعنى الإجمالي للآية :

يبين الحق سبحانه وتعالى في هذه الآية الصفتين الأولى والثانية لعباد الرحمن ، وهي أنهم يمشون على الأرض بتؤدة وطمأنينة ويمشون متواضعين لا يتكبرون على خلق الله تعالى ، وأنه إذا جهل عليهم أحد فإنهم لا يقابلون السيئة بالسيئة وإنما يصفحون ويغفرون .

---

(١) يُنظر الناسخ والمنسوخ للإمام أبي جعفر النحاس صـ ٦٠٣ ، وناسخ القرآن العزيز ومنسوخه للإمام أبي القاسم البارزي صـ ٤٣ ، والناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم للإمام ابن حزم صـ ٤٩ ، و قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن للإمام مرعي الكرمي صـ ١٥٩ ، وناسخ القرآن ومنسوخه للإمام أبي الفرج الجوزي صـ ١٧٧ .

المبحث الثالث : الصفة الثالثة لعباد الرحمن

ويصورها قوله تعالى : " وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا "(الفرقان : ٦٤)

المناسبة بين هذه الآية وما قبلها :

أنه سبحانه وتعالى ذكر في الآيات قبلها حالهم بالنهار ، ثم ذكر هنا حالهم بالليل ، وفي ذلك يقول الإمام الرازي : " واعلم أنه تعالى لما ذكر سيرتهم في النهار من وجهين : أحدهما : ترك الإيذاء ، وهو المراد من قوله : يمشون على الأرض هوناً والآخر تحمل التأذي ، وهو المراد من قوله : وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً فكأنه شرح سيرتهم مع الخلق في النهار ، فبين في هذه الآيات سيرتهم في الليالي عند الاشتغال بخدمة الخالق " (١) .

التفسير بالقرآن :

يقول الشيخ الشنقيطي : " قوله تعالى : " وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا " (الفرقان : ٦٤) ما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة ، من أن عباده الصالحين ، يبيتون لربهم سجداً وقياماً يعبدون الله ويصلون له ، بينه في غير هذا الموضع ؛ كقوله تعالى : " أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ " (الزمر : ٩) ، وقوله تعالى : " تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ " (السجدة : ١٦) ، وقوله تعالى : " ِ إِنَّهُمۡ كَانُواْ

---

(١) تفسير الرازي ج٢٤ ص ٤٨١ .

قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۝ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝ " (الذاريات : ١٦ – ١٨) (١) .

ويقول الشيخ عبد الكريم الخطيب : " «وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِياماً» .أي ومن صفات عباد الرحمن أن قلوبهم لا تخلو من ذكر الله أبداً ، وأنهم يقضون نهارهم في كفاح وعمل ، فإذا جهّم الليل أقبلوا على ربّهم بالعبادة والذكر، راكعين ساجدين . والليل هو أنسب الأوقات للعبادة ، ومناجاة الله سبحانه وتعالى ، حيث تسكن النفوس ، وتجتمع الخواطر ، وتهدأ القلوب ، فيجد الإنسان منطلقه في عالم الروح ، وقد انزاحت من طريقه السدود التي يقيمها ضجيج الحياة ، ولغط الأحياء أثناء النهار . وقد نوه القرآن الكريم في أكثر من موضع بشأن العبادة في أوقات الليل ، وما للعابدين عند الله في تلك الأوقات ، من رضا ورضوان ، فيقول سبحانه للنبى الكريم « وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نافِلَةً لَكَ عَسى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُوداً » (الإسراء : ٧٨ – ٧٩) . ويقول له سبحانه : « يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ . قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا . إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا . إِنَّ ناشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلًا » (المزمل : ١ – ٦) ويقول سبحانه في وصف المتقين من عباده ، وما أعدّ لهم من جزاء عظيم : « إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ آخِذِينَ ما آتاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كانُوا قَبْلَ ذلِكَ مُحْسِنِينَ كانُوا قَلِيلًا

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ج٦ صـ ٧٤ .

مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ » (الذاريات : ١٥ – ١٨) " (١) .

التفسير بالحديث الشريف :

رغَّب النبي ﷺ في قيام الليل ، وبين فضله في كثير من الأحاديث ، فقد بين ﷺ أنه لا يجوز التحاسد إلا لمن آتاه الله القرآن فهو يقرأه آناء الليل وأطراف النهار ، ويدل على ذلك : ما أخرجه الإمام البخاري قال : حدثنا عُثْمَانُ بن أبي شَيْبَةَ حدثنا جَرِيرٌ عن الْأَعْمَشِ عن أبي صَالِحٍ عن أبي هُرَيْرَةَ قال : قال رسول اللَّهِ ﷺ : " لَا تَحَاسُدَ إلا في اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ الله الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ أناء اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ يقول : لو أُوتِيتُ مِثْلَ ما أُوتِيَ هذا لَفَعَلْتُ كما يَفْعَلُ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ الله مَالًا يُنْفِقُهُ في حَقِّهِ ، فيقول : لو أُوتِيتُ مِثْلَ ما أُوتِيَ هذا لَفَعَلْتُ كما يَفْعَلُ " حدثنا قُتَيْبَةُ حدثنا جَرِيرٌ بهذا (٢) .

كما بين النبي ﷺ ان الله تبارك وتعالى ينزل إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر فيجيب دعوة الداعي ويغفر للمستغفر ، ويدل على ذلك : ما أخرجه الإمام البخاري قال : حدثنا عبد اللَّهِ بن مَسْلَمَةَ عن مَالِكٍ عن بن شِهَابٍ عن أبي سَلَمَةَ وَأَبِي عبد اللَّهِ الْأَغَرِّ عن أبي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال : " يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إلى

---

(١) التفسير القرآني للقرآن ج١٠ صـ ٥٦ .

(٢) صحيح البخاري – كتاب التمني – باب تمني القرآن والعلم – حديث رقم (٦٨٠٥) ج٦ صـ ٢٦٤٣ .

والحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه – كتاب فضائل القرآن وما يتعلق به – باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة من فقه وغيره فعمل بها وعلمها – حديث رقم (٨١٥) ج١ صـ ٥٥٩ .

السَّمَاءِ الدُّنْيَا حين يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ ، يقول : من يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ له ، من يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ، من يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ له " (١) .

كما بين النبي ﷺ أن صلاة الليل هي أفضل صلاة بعد الصلاة المكتوبة ، ويدل على ذلك : ما أخرجه الإمام مسلم قال : حدثني زُهَيْرُ بن حَرْبٍ حدثنا جَرِيرٌ عن عبد الْمَلِكِ بن عُمَيْرٍ عن مُحَمَّدِ بن الْمُنْتَشِرِ عن حُمَيْدِ بن عبد الرحمن عن أبي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – يَرْفَعُهُ قال : " سُئِلَ أَيُّ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ بَعْدَ الْمَكْتُوبَةِ ؟ وَأَيُّ الصِّيَامِ أَفْضَلُ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ ؟ فقال : أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ الصَّلَاةُ في جَوْفِ اللَّيْلِ وَأَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ صِيَامُ شَهْرِ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ " (٢) .

كما بين النبي ﷺ أن أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر ، ويدل على ذلك : ما أخرجه الإمام الترمذي قال : حدثنا عبد اللَّهِ بن عبد الرحمن أخبرنا إسحاق بن عِيسَى حدثني مَعْنٌ حدثني مُعَاوِيَةُ بن صَالِحٍ عن ضَمْرَةَ بن حَبِيبٍ قَال : سمعت أَبَا أُمَامَةَ – رضي الله عنه – يقول : حدثني عَمْرُو بن عَبَسَةَ أَنَّهُ سمع النبي ﷺ يقول : " أَقْرَبُ ما يَكُونُ الرَّبُّ من الْعَبْدِ في جَوْفِ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللَّهَ في تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ " قال : هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ من هذا الْوَجْهِ (٣) .

---

(١) صحيح البخاري – أبواب التهجد – باب الدعاء والصلاة من آخر الليل – حديث رقم (١٠٩) ج١ صـ ٣٨٤ .

(٢) صحيح مسلم – كتاب الصيام – باب فضل صوم المحرم – حديث رقم (١١٦٣) ج٢ صـ ٨٢١

(٣) سنن الترمذي – كتاب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم – حديث رقم (٣٥٧٩) ج٥ صـ ٥٦٩ .

كما بين النبي ﷺ أن في الليل ساعة إجابة ، ويدل على ذلك : ما أخرجه الإمام أحمد قال : حدثنا عبد اللَّهِ حدثني أبي ثنا بن إِدْرِيسَ عَنِ الأَعْمَشِ عن أبي سُفْيَانَ عن جَابِرٍ قال : قال رسول اللَّهِ ﷺ : " إن في اللَّيْلِ لَسَاعَةً لاَ يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ فيها خَيْراً إِلاَّ آتَاهُ إِيَّاهُ وَذَلِكَ في كل لَيْلَةٍ " (١) .

كما بين النبي – ﷺ فوائد قيام الليل ، ويدل على ذلك : ما أخرجه الإمام الترمذي قال : حدثنا بِذَلِكَ الْقَاسِمُ بن دِينَارٍ الْكُوفِيُّ حدثنا إسحاق بن مَنْصُورٍ الْكُوفِيُّ عن إِسْرَائِيلَ بهذا حدثنا أَحْمَدُ بن مَنِيعٍ حدثنا أبو النَّضْرِ حدثنا بَكْرُ بن خُنَيْسٍ عن مُحَمَّدٍ الْقُرَشِيِّ عن رَبِيعَةَ بِنِ يَزِيدَ عن أبي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ عن بِلَالٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال : " عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فإنه دَأَبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ وَإِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ قُرْبَةٌ إلى اللهِ وَمَنْهَاةٌ عن الْإِثْمِ وَتَكْفِيرٌ لِلسَّيِّئَاتِ وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عن الْجَسَدِ " قال أبو عِيسَى : هذا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ من حديث بِلَالٍ إلا من هذا الْوَجْهِ من قِبَلِ إِسْنَادِهِ قال : سَمِعْت مُحَمَّدَ بن إسماعيل يقول مُحَمَّدٌ الْقُرَشِيُّ هو محمد بن سَعِيدٍ الشَّامِيُّ وهو بن أبي قَيْسٍ وهو محمد بن حَسَّانَ وقد تُرِكَ حَدِيثُهُ وقد رَوَى هذا الحديث مُعَاوِيَةُ بن صَالِحٍ عن رَبِيعَةَ بن يَزِيدَ عن أبي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ عن أبي أُمَامَةَ عن رسول اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قال : "

والحديث أخرجه الإمام الطبراني في مسند الشاميين – مسند عبد الرحمن بن يزيد بن جابر – حديث رقم (٦٠٥) ج١ صـ ٣٤٩ .

(١) مسند أحمد – مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه – حديث رقم (١٤٥٨٤) ج٣ صـ ٣٣١ . والحديث أخرجه الإمام أبو يعلى في مسنده – مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنه – حديث رقم (٢٢٨١) ج٤ صـ ١٨٩ .

قال الإمام السيوطي : صحيح ، يُنظر الجامع الصغير ج١ صـ ١٩٦ .

عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فإنه دَأَبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ وهو قُرْبَةٌ إلى رَبِّكُمْ وَمَكْفَرَةٌ لِلسَّيِّئَاتِ وَمَنْهَاةٌ لِلْإِثْمِ " قال أبو عِيسَى : وَهَذَا أَصَحُّ من حديث أبي إِدْرِيسَ عن بِلَالٍ (١) .

كما بين النبي ﷺ أجر من استيقظ بالليل وأيقظ أهله ومن استيقظت بالليل وأيقظت زوجها ، ويدل على ذلك :

١ – ما أخرجه الإمام أبو داود قال : حدثنا بن بَشَّارٍ ثنا يحيى ثنا بن عَجْلَانَ عن الْقَعْقَاعِ عن أبي صَالِحٍ عن أبي هُرَيْرَةَ قال : قال رسول اللَّهِ ﷺ : " رَحِمَ الله رَجُلًا قام من اللَّيْلِ فَصَلَّى وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ في وَجْهِهَا الْمَاءَ رَحِمَ الله امْرَأَةً قَامَتْ من اللَّيْلِ فَصَلَّتْ وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ في وَجْهِهِ الْمَاءَ " (٢) .

---

(١) سنن الترمذي – كتاب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم – باب في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم – حديث رقم (٣٥٤٩) ج٥ صـ ٥٥٢ .

والحديث أخرجه الإمام ابن خزيمة في صحيحه – جماع أبواب صلاة الليل والتطوع – حديث رقم (١١٣٥) ج٢ صـ ١٧٦ .

والإمام البيهقي في سننه الكبرى – جماع أبواب صلاة التطوع وصيام شهر رمضان – باب الترغيب في قيام الليل – حديث رقم (٤٤٢٣) ج٢ صـ ٥٠٢ .

والحاكم في المستدرك – من كتاب صلاة التطوع – حديث رقم (١١٥٦) ج١ صـ ٤٥١ .

والإمام الطبراني في المعجم الكبير – حديث رقم (٦١٥٤) ج٦ صـ ٢٥٨ ، وفي المعجم الأوسط – حديث رقم (٣٢٥٣) ج٣ صـ ٣١٦ .

(٢) سنن أبي داود – أبواب قيام الليل – باب قيام الليل – حديث رقم (١٣٠٨) ج٢ صـ٣٣ .

والحديث أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه – فصل في قيام الليل – حديث رقم (٢٥٦٧) ج٦ صـ٣٠٦ .

٢ – ما أخرجه الإمام أبو داود قال : حدثنا محمد بن حَاتِمِ بن بَزِيعٍ ثنا عُبَيْدُ اللَّهِ بن مُوسَى عن شَيْبَانَ عن الْأَعْمَشِ عن عَلِيِّ بن الْأَقْمَرِ عن الْأَغَرِّ أبي مُسْلِمٍ عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ قالا : قال رسول اللَّهِ ﷺ : " من اسْتَيْقَظَ من اللَّيْلِ وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّيَا رَكْعَتَيْنِ جميعا كُتِبَا من الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ " (١) .

والإمام النسائي في سننه (المجتبى) – كتاب قيام الليل وتطوع النهار – باب الترغيب في قيام الليل – حديث رقم (١٦١٠) ج٣ صـ٢٠٥ ، وفي السنن الكبرى – كتاب قيم الليل وتطوع النهار – الترغيب في قيام الليل – حديث رقم (١٣٠٠) ج١ صـ ٤١١ .

والإمام ابن ماجة في سننه – كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها – باب ما جاء فيمن أيقظ أهله من الليل – حديث رقم (١٣٣٦) ج١ صـ ٤٢٤ .

والإمام البيهقي في سننه الكبرى – جماع أبواب صلاة التطوع وقيام شهر رمضان – باب الترغيب في قيام الليل – حديث رقم (٤٤١٩) ج٢ صـ ٥٠١ .

والإمام أحمد في مسنده – مسند أبي هريرة رضي الله عنه – حديث رقم (٧٤٠٤) ج٢ صـ ٢٥٠

قال الحافظ السيوطي : صحيح ، يُنظر الجامع الصغير ج١ صـ ٤٣٠ .

(١) سنن أبي داود – أبواب قراءة القرآن وتحزيبه وترتيله – باب الحث على قيام الليل – حديث رقم (١٤٥١) ج٢ صـ ٧٠ .

والحديث أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه – فصل في قيام الليل – حديث رقم (٢٥٦٨) ج٦ صـ ٣٠٧ .

والإمام النسائي في السنن الكبرى – كتاب قيام الليل وتطوع النهار – حديث رقم (١٣١٠) ج١ صـ ٤١٣ .

والإمام ابن ماجة في سننه – كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها – باب ما جاء فيمن أيقظ أهله من الليل – حديث رقم (١٣٣٥) ج١ صـ ٤٢٣ .

والإمام البيهقي في سننه الكبرى – جماع أبواب صلاة التطوع وقيام شهر رمضان – باب الترغيب في

المعنى الإجمالي للآية :

يبين الحق سبحانه وتعالى في هذه الآية الصفة الثالثة لعباد الرحمن وهي أنهم يجعلون لله تعالى جزءً من ليلهم يصلون فيه له تعالى ويتقربون إليه عز وجل راجين منه أن يدخلهم الجنة ويباعدهم عن النار .

قيام الليل – حديث رقم (٤٤٢٠) ج٢ صـ ٥٠١ .

والحاكم في المستدرك – من كتاب صلاة التطوع – حديث رقم (١١٨٩) ج١ صـ ٤٦١ .

والإمام أبو يعلى في مسنده – مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه – حديث رقم (١١١٢) ج٢ صـ ٣٦٠ .

والإمام عبد الرزاق في مصنفه – كتاب الصلاة – باب الصلاة من الليل – حديث رقم (٤٧٣٨) ج٣ صـ ٤٨ .

والإمام الطبراني في المعجم الأوسط – حديث رقم (٢٩٦٥) ج٣ صـ ٢١٨ ، وفي المعجم الصغير – حديث رقم (٢٤٨) ج١ صـ ١٦٠ .

قال الحافظ السيوطي : صحيح ، يُنظر الجامع الصغير ج١ صـ ٣٢ .

المبحث الرابع : الصفة الرابعة لعباد الرحمن

ويصورها قوله تعالى : " وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾" (الفرقان : ٦٥ : ٦٦)

المناسبة بين هذه الآية وما قبلها :

بعد ان بين الحق جل وعلا حال عباد الرحمن في نهارهم وليلهم بين ما يطلبونه منه تعالى سواء في نهارهم أم ليلهم .

معاني المفردات (١) :

{غَرَامًا}: هلاكاً لازماً ، وشرًّا دائمًا ، من قولهم : هو مُغْرم بكذا ، أَي : يلازمه ملازمة الغرِيم .

{مُسْتَقَرًّا}: مكان استقرار وسكن .

{وَمُقَامًا} : دار إِقامة ، من أَقام بالمكان ، إِذا سكنه ولزمه .

التفسير بالقرآن :

يقول الشيخ الشنقيطي : " الأظهر أن معنى قوله : كان غراماً ، أي : كان لازماً دائماً غير مفارق ، ومنه سمي الغريم لملازمته ، ويقال : فلان مغرم بكذا ، أي: لازم له، مولع به .

وهذا المعنى دلت عليه آيات من كتاب الله ; كقوله تعالى : ولهم عذاب مقيم (التوبة : ٦٨) وقوله : لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون (الزخرف : ٧٥) وقوله : فسوف يكون لزاماً (الفرقان : ٧٧) وقوله تعالى : فلن نزيدكم إلا عذاباً (النبأ : ٣٠) وقوله : لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون (آل عمران : ٨٨) وقوله : ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور (فاطر : ٣٦) وقوله تعالى : كلما خبت زدناهم سعيراً

---

(١) التفسير الوسيط لمجموعة من العلماء تحت إشراف مجمع البحوث الإسلامية ج٧ ص ١٥٣٨ .

(الإسراء : ٩٧) وقوله تعالى : كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب (النساء : ٥٦) إلى غير ذلك من الآيات " (١) .

قلت : وقد وردت استعاذة المؤمنين من النار في آيات عديدة ، منها: **قوله** تعالى " فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ " (**البقرة : ٢٠٠ : ٢٠١**) ، **وقوله تعالى** : " ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ " (**آل عمران : ١٦**) .

التفسير بالحديث الشريف :

في هذه الآيات يبين الحق جل وعلا أن عباد الرحمن يطلبون منه تعالى أن يصرف

عنهم عذاب جهنم ؛ لأنه كان غراماً ، ولأنها ساءت مستقراً ومقاماً , وقد ورد

أن البي ﷺ كان يستعيذ بالله تعالى من أشياء منها عذاب جهنم , ويدل على ذلك : ما أخرجه الإمام البخاري قال : حدثنا مُحَمَّدٌ أخبرنا أبو مُعَاوِيَةَ أخبرنا هِشَامُ بن عُرْوَةَ عن أبيه عن عَائِشَةَ – رضي الله عنها – قالت : كان النبي ﷺ يقول : " اللهم إني أَعُوذُ بِكَ من : فِتْنَةِ النَّارِ ، وَعَذَابِ النَّارِ ، وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ ، وَشَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى ، وَشَرِّ فِتْنَةِ الْفَقْرِ ، اللهم إني أَعُوذُ بِكَ من شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ ، اللهم اغْسِلْ قَلْبِي بِمَاءِ الثَّلْجِ وَالْبَرَدِ ، وَنَقِّ قَلْبِي من الْخَطَايَا كما نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ من الدَّنَسِ ، وَبَاعِدْ بَيْنِي

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ج٦ صـ ٧٤ .

وَبَيْنَ خَطَايَايَ كما بَاعَدْتَ بين الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، اللهم إني أَعُوذُ بِكَ من الْكَسَلِ وَالْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ " (١) .

كما أن النبي ﷺ كان يأمر أصحابه بالتعوذ من أشياء ، منها عذاب جهنم ، ويدل على ذلك : ما أخرجه الإمام مسلم قال : حدثنا نَصْرُ بن عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ وابن نُمَيْرٍ وأبو كُرَيْبٍ وَزُهَيْرُ بن حَرْبٍ جميعاً عن وَكِيعٍ قال أبو كُرَيْبٍ : حدثنا وَكِيعٌ حدثنا الْأَوْزَاعِيُّ عن حَسَّانَ بن عَطِيَّةَ عن مُحَمَّدِ بن أبي عَائِشَةَ عن أبي هُرَيْرَةَ وَعَنْ يحيى بن أبي كَثِيرٍ عن أبي سَلَمَةَ عن أبي هُرَيْرَةَ قال : قال رسول اللَّهِ ﷺ : " إذا تَشَهَّدَ أحدكم فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ من أَرْبَعٍ يقول : اللهم إني أَعُوذُ بِكَ من عَذَابِ جَهَنَّمَ ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ " (٢) .

المعنى الإجمالي للآيات :

يبين الحق – حل وعلا في هذه الآيات أن عباد الرحمن يطلبون منه تعالى أن يصرف عنهم عذاب جهنم ، وتكمن العلة وراء هذا الطلب في أمرين :

الأول : أن عذاب جهنم غرام لمن أصابه ، فهو هلاك لازم، وشرٌّ دائم .

الثاني : أن جهنم بئس القرار والسكن وبئس دار المقام .

---

(١) صحيح البخاري – كتاب الدعوات – باب التعوذ من فتنة الفقر – حديث رقم (٦٠١٦) ج٥ صـ ٢٣٤٤ .

(٢) صحيح مسلم – كتاب المساجد ومواضع الصلاة – باب ما يستعاذ منه في الصلاة – حديث رقم (٥٨٨) ١ صـ ٤١٢ .

المبحث الخامس : الصفة الخامسة لعباد الرحمن

ويصورها قوله تعالى : " وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا " (الفرقان : ٦٧) .

المناسبة بين هذه الآية وما قبلها :

يقول الإمام البقاعي : " ولما علم أن ما بين الطرفين المذمومين يكون عدلاً ، صرح به في قوله : (قواماً) أي عدلاً سواء بين الخلقين المذمومين : الإفراط والتفريط ، تخلقاً بصفة قوله تعالى " ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء " [الشورى : ٢٧] وهذه صفة أصحاب محمد – صلى الله عليه و رضي عنهم – كانوا لا يأكلون طعاماً للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوباً للجمال والزينة ، بل كانوا يأكلون ما يسد الجوعة ، ويعين على العبادة ، ويلبسون ما يستر العورة ، ويُكنّ من الحر والقر ، قال عمر ﷺ : كفى سرفاً أن لا يشتهي الرجل شيئاً إلا اشتراه فأكله " (١) .

قلت : بعد أن بين الحق جل وعلا في الآيات السابقة حال عباد الرحمن مع الخلق ومع الله في نهارهم وليلهم ، وأنهم يطلبون من الله الجنة ناسب أن يبين هنا صفة من الصفات التي يستحقون بها دخول الجنة ، وهي الإنفاق في سبيل الله والإمساك عن الإنفاق في حرمات الله .

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج٥ صـ ٣٣٦ .

القراءات الواردة في الآية (١) :

الأولى : قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر " يُقتِروا " بضم الياء وكسر التاء من أقتر .

الثانية : قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب " يَقتِروا " بفتح الياء وكسر التاء كيحمل

الثالثة : قرأ الباقون " يَقتُروا " بفتح الياء وضم التاء كيقتل .

والقراءات الثلاث متواترة .

معاني المفردات (٢) :

{يُسْرِفُوا} : يُفْرِطوا في الإِنفاق حتى يضروا باحتياجات معيشتهم ، ومصدره : الإِسراف ، وهو التبذير في النفقة ، والاسم منه : السَّرَفُ – بفتحتين – وهو ضد القَصْد .

{يَقْتُرُوا} : يُضَيِّقُوا في النفقة على أَنفسهم وعيالهم تضييق الشحيح ، وماضيه : قَتَر، من باب : ضرب ودخل ، ويقال : قَتَّر وأَقْتَر .

{قَوَامًا} : وسطًا وعدلًا .

---

(١) يُنظر السبعة في القراءات للإمام ابن مجاهد صـ ٤٦٦ ، وحرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع للإمام الشاطبي صـ ١٢٤ ، والتيسير في القراءات السبع للإمام الداني صـ ١٦٤ ، والحجة في القراءات السبع المنسوب للإمام ابن خالويه صـ ٢٦٦ ، وحجة القراءات للإمام ابن زنجلة صـ ٥١٣ ، والنشر في القراءات العشر للإمام ابن الجزري ج٢ صـ ٣٣٤ ، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للإمام الدمياطي صـ ٤١٨ .

(٢) التفسير الوسيط لمجموعة من العلماء تحت إشراف مجمع البحوث الإسلامية ج٧ صـ ١٥٤٠ .

التفسير بالقرآن :

يقول الشيخ الشنقيطي : " والظاهر أن التوسط في الإنفاق الذي مدحهم به شامل لإنفاقهم على أهليهم ، وإنفاقهم المال في أوجه الخير .

وهذا المعنى الذي دلت عليه هذه الآية الكريمة، جاء موضحاً في غير هذا الموضع ; فمن ذلك أن الله أوصى نبيه ﷺ بالعمل بمقتضاه في قوله تعالى : " ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط " الآية (الأنبياء : ٢٩) فقوله : ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ، أي : ممسكة عن الإنفاق إمساكاً كلياً ، يؤدي معنى قوله هنا : " ولم يقتروا ". وقوله : " ولا تبسطها كل البسط " ، يؤدي معنى قوله هنا : " لم يسرفوا " ، وأشار تعالى إلى هذا المعنى في قوله : " وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا " (الأنبياء : ٢٦) وقوله تعالى : " ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو " الآية (آل عمران : ٢١٩) على أصح التفسيرين (١) .

قلت : وقد أكد الله تعالى هذا المعنى وهو التوسط في الإنفاق والإنفاق في طاعة الله دون معصيته في كثير من الآيات ، منها ما يدعو فيها إلى الإنفاق ، كقوله تعالى " ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ " (البقرة : ٣) ، وقوله تعالى : " وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ " (البقرة : ١٩٥) ، وقوله تعالى : " يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ " (البقرة : ٢٥٤) ، وقد أمرنا الحق جل وعلا أن ننفق من الطيبات فالله تعالى طيب لا يقبل إلا الطيب

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ج٦ صـ ٧٦

ويجازي على ذلك بالمغفرة والفضل ، قال تعالى : " يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةً مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ " (**البقرة : ٢٦٧ : ٢٦٨**) .

ومنها ما ينهى فيها عن التبذير ، كقوله تعالى : " وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ﴿٢٧﴾ " (**الإسراء : ٢٦ : ٢٧**) .

ومنها ما ينهى فيها عن البخل والشح ، كما في قوله تعالى : " هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم " (**محمد : ٣٨**) ، **وقوله تعالى :** " وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ " (**الليل : ٨ : ١١**) .

ومنها ما يحكي فيها أقوال المشركين ، ويعيب عليهم عدم الإنفاق إذا دُعوا إلى ذلك ، كقوله تعالى : " وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ " (**يس : ٤٧**)

ومنها ما يدعو فيها إلى التوسط في الإنفاق كما في هذه الآية التي معنا ، وفي غيرها ، كقوله تعالى : " وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿٣٠﴾ " (**الإسراء : ٢٩ : ٣٠**) .

التفسير بالحديث الشريف :

بينت هذه الآية أن من صفات عباد الرحمن الاعتدال في الإنفاق فلا يسرفون ولا يقترون وإنما يكونون بين هذا وذاك ، وقد أكد النبي ﷺ هذا المعنى في كثير من أحاديثه :

أولاً : أحاديث يحض فيها على الإنفاق والصدقة :

تنوع أسلوب النبي ﷺ في حضه أصحابه على الصدقة والإنفاق في سبيل الله ، في كثير من أحاديثه ، ومن ذلك :

١ – ما يبين فيه النبي ﷺ أن درجة المتصدق الذي يُخفي صدقته أن يظله الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، ويدل على ذلك ما أخرجه الإمام البخاري قال : حدثنا مُسَدَّدٌ حدثنا يحيى عن عُبَيْدِ اللَّهِ قال : حدثني خُبَيْبُ بن عبد الرحمن عن حَفْصِ بن عَاصِمٍ عن أبي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال : " سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ الله تَعَالَى في ظِلِّهِ يوم لَا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ : إِمَامٌ عَدْلٌ ، وَشَابٌّ نَشَأَ في عِبَادَةِ اللَّهِ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ في الْمَسَاجِدِ ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا في اللَّهِ اجْتَمَعَا عليه وَتَفَرَّقَا عليه ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فقال : إني أَخَافُ اللَّهَ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حتى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ما تُنْفِقُ يَمِينُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ " (١) .

٢ – ما يبين فيه أن النار تُتقى بشق تمرة يتصدق بها المسلم ، ويدل على ذلك : ما أخرجه الإمام البخاري قال : حدثنا سُلَيْمَانُ بن حَرْبٍ حدثنا شُعْبَةُ عن أبي إِسْحَاقَ قال : سمعت عَبْدَ اللَّهِ بن مَعْقِلٍ قال : سمعت عَدِيَّ

---

(١) صحيح البخاري – كتاب الزكاة – باب الصدقة باليمين – حديث رقم (١٣٥٧) ج٢ صـ ٥١٧ .

والحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه – كتاب الزكاة – باب فضل إخفاء الصدقة – حديث رقم (١٠٣١) ج٢ صـ ٧١٥ .

بن حَاتِمٍ – رضي الله عنه – قال : سمعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول : " اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ " (١) .

٣ – ما يبين فيه أن الصدقة تُطفئ غضب الرب عز وجل وتدفع ميتة السوء ، ويدل على ذلك : ما أخرجه الإمام الترمذي قال : " حدثنا عُقْبَةُ بن مُكْرَمٍ الْعَمِّيُّ الْبَصْرِيُّ حدثنا عبد اللَّهِ بن عِيسَى الخزاز الْبَصْرِيُّ عن يُونُسَ بن عُبَيْدٍ عن الْحَسَنِ عن أَنَسِ بن مَالِكٍ قال : قال رسول اللَّهِ ﷺ : " إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ ، وَتَدْفَعُ عن مِيتَةِ السُّوءِ " قال أبو عِيسَى : هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ من هذا الْوَجْهِ (٢) .

ثانيا : **أحاديث ينهى فيها ﷺ عن البخل ويستعيذ بالله منه** :

١ – ما أخرجه الإمام البخاري قال : حدثنا آدَمُ حدثنا شُعْبَةُ حدثنا عبد الْمَلِكِ عن مُصْعَبٍ كان سَعْدٌ يَأْمُرُ بِخَمْسٍ وَيَذْكُرُهُنَّ عن النبي ﷺ أَنَّهُ كان يَأْمُرُ بِهِنَّ : " اللهم إني أَعُوذُ بِكَ من الْبُخْلِ ، وَأَعُوذُ بِكَ من الْجُبْنِ ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إلى أَرْذَلِ الْعُمُرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ من فِتْنَةِ الدُّنْيَا يَعْنِي فِتْنَةَ الدَّجَّالِ ، وَأَعُوذُ بِكَ من عَذَابِ الْقَبْرِ " (٣) .

---

(١) صحيح البخاري –كتاب الزكاة – باب اتقوا النار ولو بشق تمرة – حديث رقم (١٣٥١) ج٢ صـ ٥١٤ .

والحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه –كتاب الزكاة – باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار – حديث رقم (١٠١٦) ج٢ صـ ٧٠٣ .

(٢) سنن الترمذي –كتاب الزكاة – باب ما جاء في فضل الصدقة – حديث رقم (٦٦٤) ج٣ صـ ٥٢ .

(٣) صحيح البخاري –كتاب الدعوات – باب التعوذ من عذاب القبر – حديث رقم (٦٠٠٤) ج٥ صـ ٢٣٤١ .

٢ – ما أخرجه الإمام أبو داود قال : حدثنا حَفْصُ بن عُمَرَ ثنا شُعْبَةُ عن عَمْرِو بن مُرَّةَ عن عبد اللَّهِ بن الحرث عن أبي كَثِيرٍ عن عبد اللَّهِ بن عَمْرٍو قال : خَطَبَ رسول اللَّهِ ﷺ فقال : " إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ فَإِنَّمَا هَلَكَ من كان قَبْلَكُمْ بِالشُّحِّ أَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخِلُوا وَأَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا " (١) .

ثالثا : **أحاديث يأمر فيها النبي بالاقتصاد في الإنفاق والتوسط والاعتدال بين التبذير والتقتير** :

١ – ما أخرجه الإمام البخاري قال : حدثنا أبو عَاصِمٍ عن يَزِيدَ بن أبي عُبَيْدٍ عن سَلَمَةَ بن الْأَكْوَعِ قال : قال النبي ﷺ : " من ضَحَّى مِنْكُمْ فلا يُصْبِحَنَّ بَعْدَ ثَالِثَةٍ وفي بَيْتِهِ منه شَيْءٌ فلما كان الْعَامُ الْمُقْبِلُ قالوا : يا رَسُولَ اللَّهِ نَفْعَلُ كما فَعَلْنَا عَامَ الْمَاضِي ؟ قال : كُلُوا وَأَطْعِمُوا وَادَّخِرُوا ؛ فإن ذلك الْعَامَ كان بِالنَّاسِ جَهْدٌ فَأَرَدْتُ أَنْ تُعِينُوا فيها " (٢) .

---

(١) سنن أبي داود – كتاب الزكاة – باب في الشح – حديث رقم (١٦٩٨) ج٢ صـ ١٣٣ .

والحديث اخرجه الحاكم في مستدركه – كتاب الزكاة – حديث رقم (١٥١٦) ج١ صـ ٥٧٦ ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأبو كثير الزبيدي من كبار التابعين .

والإمام البيهقي في سننه الكبرى – كتاب الزكاة – جماع أبواب صدقة التطوع – باب كراهية البخل والشح والإقتار – حديث رقم (٧٦٠٧) ج٤ صـ ١٨٧ .

قال الحافظ السيوطي : صحيح ، يُنظر الجامع الصغير ج١ صـ ٢٥٣ .

(٢) صحيح البخاري – كتاب الأضاحي – باب ما يؤكل من لحوم الأضاحي وما يتزود منها – حديث رقم (٥٢٤٩) ج٥ صـ ٢١١٥ .

والحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه – كتاب الأضاحي – باب بيان ما كان من النهي عن أكل لحوم الأضاحي ثلاث في أول الإسلام وبيان نسخه وإباحته إلى متى شاء – حديث رقم (١٩٧٤) ج٣ صـ ١٥٦٣ .

٢ – ما أخرجه الإمام البخاري قال : حدثنا أبو نُعَيْمٍ حدثنا سُفْيَانُ عن سَعْدِ بن إبراهيم عن عَامِرِ بن سَعْدٍ عن سَعْدِ بن أبي وَقَّاصٍ ﷺ قال : جاء النبي ﷺ يَعُودُنِي وأنا بِمَكَّةَ وهو يَكْرَهُ أَنْ يَمُوتَ بِالْأَرْضِ التي هَاجَرَ منها قال : يَرْحَمُ الله ابن عَفْرَاءَ ، قلت : يا رَسُولَ اللَّهِ أُوصِي بِمَالِي كُلِّهِ قال : لَا ، قلت : فَالشَّطْرُ قال : لَا ، قلت : الثُّلُثُ قال : فَالثُّلُثُ وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ ؛ إِنَّكَ أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ من أَنْ تَدَعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ الناس في أَيْدِيهِمْ ، وَإِنَّكَ مَهْمَا أَنْفَقْتَ من نَفَقَةٍ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ حتى اللُّقْمَةُ التي تَرْفَعُهَا إلى فِيِّ امْرَأَتِكَ ، وَعَسَى الله أَنْ يَرْفَعَكَ فَيَنْتَفِعَ بِكَ نَاسٌ وَيُضَرَّ بِكَ آخَرُونَ ، ولم يَكُنْ له يَوْمَئِذٍ إلا ابْنَةٌ " (١) .

---

(١) صحيح البخاري – كتاب الوصايا – باب أن يترك ورثته أغنياء خير من ان يتكففوا الناس – حديث رقم (٢٥٩١) ج٣ صـ ١٠٠٦ .

التفسير بالآثار عن الصحابة والتابعين :

اختلف أهل التأويل في النفقة التي عناها الله في هذا الموضع، وما الإسراف فيها والإقتار على أقوال :

القول الأول : الإسراف ما كان من نفقة في معصية الله وإن قَلَّت: قال: وإياها

عني الله، وسماها إسرافاً. قالوا: والإقتار: المنع من حق الله ، وبه قال : ابن عباس ، ومجاهد ، وابن جريج ، وابن زيد ، وعمر مولى غفرة .

القول الثاني : : السرف: المجاوزة في النفقة الحد، والإقتار: التقصير عن الذي لا بد منه ، وبه قال : إبراهيم ، ويزيد بن أبي حبيب ، ويزيد بن مرة الجعفي ، ومطرف بن عبد الله .

القول الثالث : الإسراف هو أن تأكل مال غيرك بغير حق ، وبه قال : عون بن عبد الله بن عتبة (١) .

وقد عقب ابن جرير الطبري على ذلك قائلا : " والصواب من القول في ذلك، قول من قال: الإسراف في النفقة الذي عناه الله في هذا الموضع: ما جاوز الحد الذي أباحه الله لعباده إلى ما فوقه ، والإقتار: ما قصر عما أمر الله به، والقوام : بين ذلك.

وإنما قلنا إن ذلك كذلك، لأن المسرف والمقتر كذلك، ولو كان الإسراف والإقتار في النفقة مرخصا فيهما ما كانا مذمومين ، ولا كان المسرف ولا المقتر مذموما، لأن ما أذن الله في فعله فغير مستحق فاعله الذم (١) .

١(١) يُنظر هذه الأقوال والروايات الواردة عمن قال بها في تفسير الطبري للإمام ابن جرير الطبري ج١٩ صـ ٢٩٨ وما بعدها .

قلت : ولا مانع من احتمال الآية جميع ذلك .

المعنى الإجمالي للآية :

يبين الحق جل وعلا في هذه الآية الصفة الخامسة لعباد الرحمن ، وهي أنهم يعتدلون في الإنفاق فلا يسرفون ولا يقترون ، أو ينفقون في طاعة الله ولا ينفقون في معاصيه ، فهذا شأنهم وديدنهم دائما ، وقد أمرهم الله تعالى ورسوله بذلك في كثير من الآيات والأحاديث كما مر بيانه ، وقد كان صحابة رسول الله ﷺ ورضي عنهم المثل الأعلى في ذلك ، فقد كانوا يتنافسون في الإنفاق في سبيل الله ويبتعدون عن الإنفاق في معاصيه ، والأمثلة في ذلك كثيرة يقصر المقام عن ذكرها .

(١) السابق ج١٩ صـ ٣٠٠ .

المبحث السادس : الصفات : السادسة ، والسابعة ، والثامنة لعباد الرحمن

ويصورها قوله تعالى : " وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ " (الفرقان : ٦٨ : ٧١) .

المناسبة بين هذه الآيات وما قبلها ، وبين بعضها :

يقول الإمام البقاعي : " ولما ذكر ما تحلوا به من أصول الطاعات، بما لهم من العدل والإحسان بالأفعال والأقوال، في الأبدان والأموال، أتبعه ما تخلوا عنه من أمهات المعاصي التي هي الفحشاء والمنكر، فقال: {والذين لا يدعون} رحمة لأنفسهم واستعمالاً للعدل {مع الله} أي الذي اختص بصفات الكمال {إلهاً} " (١) .

ثم لما بين انهم لا يقتلون أنفسهم بالشرك ناسب أن يذكر أنهم لا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق (٢) .

ثم لما ذكر أنهم لا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ناسب أن يبين أنهم لا يزنون لأنه بالزنا قد تتحقق حياة شخص بغير حق أما القتل فضده (٣) .

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج١٣ صـ ٤٢٥ .

(٢) يُنظر السابق نفس الجزء والصفحة .

(٣) يُنظر السابق ج١٣ صـ ٤٢٦ .

ثم لما ذكر جزاء من يفعل هذه الأمور الثلاثة ناسب أن يبين حكم من تاب وآمن وعمل صالحاً .

القراءات الواردة في الآيات :

واختُلف في (يُضاعَف) و (يَخلد) الآية ٦٩ فابن عامر وأبو بكر برفع الفعلين ، فيضاعف على الحال والاستئناف كأنه جواب ما الآثام ؟ ، ويخلد بالعطف عليه ، والباقون بجزمهما بدلاً من يلق ؛ لأنه من معناه إذ لقيه جزاء الإثم تضعيف عذابه

وقرأ (يُضعَّف) الآية ٦٩ بالقصر وتشديد عينه ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب

وقرأ (فيه مهانا) الآية ٦٩ بصلة هاء فيه ابن كثير وحفص (١) .

والقراءات كلها متواترة .

معاني المفردات (٢) :

{أَثَامًا}: عقاباً شديداً لا يقادر قدره على إثمه، والكلام على حذف مضاف، أَي: يلق جزاءَ أَثامٍ.

{يَخْلُدْ}: يقيم فيه أَبداً، وأَصل الخلود في اللغة: المكث الطويل.

{مُهَانًا}: حقيراً ذليل النفس.

{مَتَابًا}: رجوعاً عظيم الشأْن مرضياً عنه.

---

(١) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للإمام الدمياطي صـ ٤١٨ ، ٤١٩ ، ويُنظر النشر في القراءات العشر للإمام ابن الجزري ج٢ صـ ٣٧٤ .

(٢) التفسير الوسيط لمجموعة من العلماء تحت إشراف مجمع البحوث الإسلامية ج٧ صـ ١٥٤٢ .

التفسير بالقرآن :

هذه الآيات تبين ثلاث صفات لعباد الرحمن :

الأولى : أنهم لا يدعون مع الله إلهاً آخر أي لا يشركون بالله عز وجل ، وقد ورد النهي عن الشرك في آيات كثيرة ، منها :

قوله تعالى " قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ " (**الأنعام : ١٥١**) ، و **قوله تعالى** " وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا " (الإسراء : ٢٣) ، وقوله تعالى " إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا " (**النساء : ١١٦**) ، و **قوله تعالى** " وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " (**لقمان : ١٣**) .

الثانية : أنهم لا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وقد ورد النهي عن قتل النفس بغير حق في كثير من الآيات ، منها :

قوله تعالى " وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا " (**النساء : ٩٣**) ، **وقوله تعالى** " مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ " (**المائدة : ٣٢**) ، **وقوله تعالى** " وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَن

قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا " (**الإسراء : ٣٣**) .

الثالثة : أنهم لا يزنون ، وقد ورد النهي عن الزنا في كثير من الآيات ، منها : قوله تعالى " وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا " (**الإسراء : ٣٢**) ، وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ " (**المؤمنون : ٥ : ٧**)

أما بقية الآيات فيبين فيها الحق عز وجل أن من وقع في أحد هذه الذنوب فله عذاب عظيم يوم القيامة ، إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً ، فإن الله يبدل سيئاته حسنات ، وقد بين الله تعالى في كثير من الآيات أنه يدعو المؤمنين إلى التوبة ويقبل توبة التائبين ، منها :

قوله تعالى " وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ " (**النور ٣١**) ، **وقوله تعالى** " يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ " (**التحريم : ٨**) ، **وقوله تعالى** " إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١٧ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٨ " (**النساء : ١٧ : ١٨**) ، **و قوله تعالى** " وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ

يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا "(**النساء : ١١٠**) ، **وقوله تعالى** " أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ " (**التوبة : ١٠٤**) ، **وقوله تعالى** " قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ " (**الزمر : ٥٣**) .

التفسير بالحديث الشريف :

هذه الآيات تبين ثلاث صفات لعباد الرحمن :

الأولى : أنهم لا يدعون مع الله إلها آخر : أي لا يشركون بالله عز وجل ، وقد ورد النهي عن الشرك في أحاديث كثيرة ، وصور مختلفة :

منها ما يبين فيه النبي ﷺ أن الشرك أعظم الذنوب ، ويدل على ذلك : ما أخرجه الإمام البخاري قال : حدثني عُثْمَانُ بن أبي شَيْبَةَ حدثنا جَرِيرٌ عن مَنْصُورٍ عن أبي وَائِلٍ عن عَمْرِو بن شُرَحْبِيلَ عن عبد اللَّهِ قال : " سَأَلْتُ النبي ﷺ أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ ؟ قال : أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وهو خَلَقَكَ ، قلت : إِنَّ ذلك لَعَظِيمٌ ، قلت : ثُمَّ أَيُّ ؟ قال : وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ ، قلت : ثُمَّ أَيُّ ؟ قال : أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ " ([1]) .

ومنها ما يبين فيه ﷺ أنه أول السبع الموبقات أي المهلكات ، ويدل على ذلك : ما أخرجه الإمام البخاري قال : حدثنا عبد الْعَزِيزِ بن عبد اللَّهِ قال : حدثني سُلَيْمَانُ بن بِلَالٍ عن ثَوْرِ بن زَيْدٍ الْمَدَنِيّ عن أبي الْغَيْثِ عن أبي

---

(١) صحيح البخاري – كتاب التفسير – باب قوله تعالى " فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون " – حديث رقم (٤٢٠٧) ج٤ صـ ١٦٢٦ .

والحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه – كتاب الإيمان – باب كون الشرك أعظم الذنوب وبيان أعظمها بعده – حديث رقم (٨٦) ج١ صـ ٩١ .

هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال : " اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ ، قالوا : يا رَسُولَ اللَّهِ وما هُنَّ ؟ قال : الشِّرْكُ بِاللَّهِ ، وَالسِّحْرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ التي حَرَّمَ الله إلا بِالْحَقِّ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالتَّوَلِّي يوم الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ (١) .

الثانية : أنهم لا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وقد ورد النهي عن قتل النفس بغير حق في كثير من الأحاديث ، منها :

١ – ما أخرجه الإمام البخاري قال : حدثنا عُمَرُ بن حَفْصٍ حدثنا أبي حدثنا الْأَعْمَشُ عن عبد اللَّهِ بن مُرَّةَ عن مَسْرُوقٍ عن عبد اللَّهِ قال : قال رسول اللَّهِ ﷺ: " لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إلا الله وَأَنِّي رسول اللَّهِ إلا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ : النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، والمفارق لدينه التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ " (٢) .

٢ – ما أخرجه الإمام البخاري قال : حدثنا عَلِيٌّ حدثنا إِسْحَاقُ بن سَعِيدِ بن عَمْرِو بن سَعِيدِ بن الْعَاصِ عن أبيه عن بن عُمَرَ – رضي الله عنهما – قال : قال رسول اللَّهِ ﷺ : " لا يَزَالَ الْمُؤْمِنُ في فُسْحَةٍ من دِينِهِ ما لم يُصِبْ دَمًا حَرَامًا " (٣) .

---

(١) صحيح البخاري – كتاب الوصايا – باب قول الله تعالى " إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا " – حديث رقم (٢٦١٥) ج٣ صـ ١٠١٧ .

(٢) صحيح البخاري – كتاب الديات – باب قول الله تعالى " أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف .... فأولئك هم الظالمون " – حديث رقم (٦٤٨٤) ج٦ صـ ٢٥٢١ .

والحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه – كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات – باب مايباح به دم المسلم – حديث رقم (١٦٧٦) ج٣ صـ ١٣٠٣ .

(٣) صحيح البخاري – كتاب الديات وقول الله تعالى " ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم "

الثالثة : أنهم لا يزنون ، وقد ورد النهي عن الزنا في كثير من الأحاديث ، منها ما مر سابقاً في أحاديث النهي عن الشرك وقتل النفس ، ومنها ما نفى فيه ﷺ عن الزاني الإيمان وقت وقوعه في الزنا ، ويدل على ذلك: ما أخرجه الإمام البخاري قال : حدثنا محمد بن الْمُثَنَّى أخبرنا إِسْحَاقُ بن يُوسُفَ أخبرنا الْفُضَيْلُ بن غَزْوَانَ عن عِكْرِمَةَ عن بن عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما – قال : قال رسول اللَّهِ ﷺ : " لَا يَزْنِي الْعَبْدُ حين يَزْنِي وهو مُؤْمِنٌ ، ولا يَسْرِقُ حين يَسْرِقُ وهو مُؤْمِنٌ ، ولا يَشْرَبُ حين يَشْرَبُ وهو مُؤْمِنٌ ، ولا يَقْتُلُ وهو مُؤْمِنٌ قال عِكْرِمَةُ : قلت لابن عَبَّاسٍ : كَيْفَ يُنْزَعُ الْإِيمَانُ منه ؟ قال : هَكَذَا وَشَبَّكَ بين أَصَابِعِهِ ثُمَّ أَخْرَجَهَا ، فَإِنْ تَابَ عَادَ إليه هَكَذَا وَشَبَّكَ بين أَصَابِعِهِ " (١) .

أما بقية الآيات فيبين فيها الحق عز وجل أن من وقع في أحد هذه الذنوب فله عذاب عظيم يوم القيامة ، إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فإن الله يبدل سيئاته حسنات ، وقد بين الرسول ﷺ في كثير من الأحاديث أن الله تعالى يدعو المؤمنين إلى التوبة ، ويقبل توبة التائبين ، ويفرح بتوبة العبد ، منها :

١ – ما أخرجه الإمام البخاري قال : حدثنا أبو الْيَمَانِ أخبرنا شُعَيْبٌ عن الزُّهْرِيِّ قال أخبرني أبو سَلَمَةَ بن عبد الرحمن قال : قال أبو هُرَيْرَةَ :

– حديث رقم (٦٤٦٩) ج٦ صـ ٢٥١٧ .

(١) صحيح البخاري – كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة – باب إثم الزناة – حديث رقم (٦٤٢٦) ج٦ صـ ٢٤٩٧ .

والحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه – كتاب الإيمان – باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله – حديث رقم (٥٧) ج١ صـ ٧٧ .

سمعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول : " والله إني لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إليه في الْيَوْمِ أَكْثَرَ من سَبْعِينَ مَرَّةً " (١).

٢ – ما أخرجه الإمام البخاري قال : حدثنا إِسْحَاقُ أخبرنا حَبَّانُ حدثنا هَمَّامٌ حدثنا قَتَادَةُ حدثنا أَنَسُ بن مَالِكٍ عن النبي ﷺ وحدثنا هُدْبَةُ حدثنا هَمَّامٌ حدثنا قَتَادَةُ عن أَنَسٍ – رضي الله عنه – قال : قال رسول اللَّهِ ﷺ : " الله أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ من أَحَدِكُمْ سَقَطَ على بَعِيرِهِ وقد أَضَلَّهُ في أَرْضِ فَلَاةٍ " (٢) .

٣ – ما أخرجه الإمام مسلم قال : حدثني محمد بن رَافِعٍ حدثنا عبد الرَّزَّاقِ أخبرنا مَعْمَرٌ عن جَعْفَرٍ الْجَزَرِيِّ عن يَزِيدَ بن الْأَصَمِّ عن أبي هُرَيْرَةَ قال : قال رسول اللَّهِ ﷺ : " وَالَّذِي نَفْسِي بيده لو لم تُذْنِبُوا لَذَهَبَ الله بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لهم " (٣) .

---

(١) صحيح البخاري – كتاب الدعوات – باب استغفار النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم والليلة حديث رقم (٥٩٤٨) ج٥ صـ ٢٣٢٤ .

(٢) صحيح البخاري – كتاب الدعوات – باب التوبة – حديث رقم (٥٩٥٠) ج٥ صـ ٢٣٢٥ .

والحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه – كتاب التوبة – باب في الحض على التوبة والفرح بها – حديث رقم (٢٧٤٧) ج٤ صـ ٢١٠٥ .

(٣) صحيح مسلم – كتاب التوبة – باب سقوط الذنوب بالاستغفار توبة – حديث رقم (٢٧٤٩) ج٤ صـ ٢١٠٦ .

من الذي يُضاعف له العذاب يوم القيامة ؟

من جمع مع هذه الكبائر الإشراك بالله تعالى ، أما من فعلها وكان مسلماً فلا يضاعف له (١) .

معنى قوله تعالى " فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ " :

يقول الإمام القاسمي : " وفي معنى قوله تعالى: يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ قولان: أحدهما– أنهم بدلوا مكان عمل السيئات بعمل الحسنات. قال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس، في هذه الآية : هم المؤمنون كانوا من قبل إيمانهم على السيئات، فرغب الله بهم عن السيئات فحولهم إلى الحسنات، فأبدلهم مكان السيئات الحسنات، وكذا قال سعيد بن جبير: أبدلهم الله بعبادة الأوثان عبادة الرحمن، وأبدلهم بقتال المسلمين قتال المشركين، وأبدلهم بنكاح المشركات نكاح المؤمنات، وكذا قال الحسن: أبدلهم بالعمل السيء العمل الصالح، وأبدلهم بالشرك إخلاصاً، وبالفجور إحصاناً، وبالفكر إسلاماً . القول الثاني: إن تلك السيئات الماضية تنقلب بنفس التوبة النصوح، حسنات. وما ذاك إلا أنه كلما تذكر ما مضى، ندم واسترجع واستغفر. فينقلب الذنب طاعة بهذا الاعتبار " (٢) .

قلت : ولا مانع من إرادة المعنيين معاً .

---

(١) التفسير الوسيط لمجموعة من العلماء تحت إشراف مجمع البحوث الإسلامية ج٧ صـ ١٥٤٣ .

(٢) تفسير القاسمي محاسن التأويل ج٧ صـ ٤٣٨ ، ويُنظر تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل ج٣ صـ ٣١٩ .

هل هناك تعارض بين هذه الآيات وآية سورة النساء (١) ؟

وأقصد بآية سورة النساء قوله تعالى : " وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا " (النساء : ٩٣) .

فالآيات التي معنا تفيد أن القاتل إذا تاب من ذنبه فإن الله يتوب عليه ، بينما آية النساء تفيد بأنه لا توبة له وأن جزاءه جهنم خالداً فيها ، وعليه غضب من الله وله عذاب عظيم ، وهذا ما دعى البعض إلى القول بنسخ إحداهما للأخرى ، لكن عند تدقيق النظر في الآيتين أجد ما يلي :

أولاً : أن آيات الفرقان نصت على أن من تاب يغفر الله تعالى له ذنبه ، بينما آية النساء ذكرت حكم من فعل ذلك دون أن تبين حكم من تاب ، فالآية الأولى مقيدة والثانية مطلقة ، فيحمل المطلق على المقيد .

ثانياً : أن آيات الفرقان وآية النساء تفيدان نفس المعنى وتؤكدان عليه في حكم من فعل هذا الجرم بينما تبين إحداهما حكم من تاب ولا تبينه الأخرى فيحمل الحكم عليهما .

ثالثاً : أن هناك أدلة أخرى كثيرة تؤكد أن للقاتل عمداً توبة ، ومنها الحديث المشهور للرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً ، ويدل على ذلك : ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه قال : " حدثني عُبَيْدُ اللَّهِ بن مُعَاذٍ الْعَنْبَرِيُّ حدثنا أبي حدثنا شُعْبَةُ عن قَتَادَةَ أَنَّهُ سمع أَبَا الصِّدِّيقِ النَّاجِيَّ عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عن النبي ﷺ : " أَنَّ رَجُلًا قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا ، فَجَعَلَ يَسْأَلُ

---

(١) يُنظر الناسخ والمنسوخ للإمام أبي القاسم المقري صـ ١٣٦ ، والناسخ والمنسوخ للإمام أبي جعفر النحاس صـ ٦٠٥ ، و تفسير القاسمي ج٧ صـ ٤٣٨ .

هل له من تَوْبَةٍ ؟ فَأَتَى رَاهِبًا فَسَأَلَهُ ، فقال : لَيْسَتْ لك تَوْبَةٌ ، فَقَتَلَ الرَّاهِبَ ، ثُمَّ جَعَلَ يَسْأَلُ ، ثُمَّ خَرَجَ من قَرْيَةٍ إلى قَرْيَةٍ فيها قَوْمٌ صَالِحُونَ ، فلما كان في بَعْضِ الطَّرِيقِ أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ فَنَأَى بِصَدْرِهِ ثُمَّ مَاتَ ، فَاخْتَصَمَتْ فيه مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ ، فَكَانَ إلى الْقَرْيَةِ الصَّالِحَةِ أَقْرَبَ منها بِشِبْرٍ فَجُعِلَ من أَهْلِهَا " (١) .

رابعا : أنه لا تعارض بين الآيات ، والنسخ لا يُلجأ إليه إلا عند التعارض .

المعنى الإجمالي للآيات :

يبين الحق جل وعلا في هذه الآيات ثلاث صفات من صفات عباد الرحمن ، وهي أنهم لا يشركون بالله عز وجل فلا يعبدون إلا الله وحده ، وهم أيضاً لا يقتلون النفس التي حرم الله تعالى إلا بالحق أي لا يقتلون إلا التي تستوجب القتل طبقاً للشرع ، وهم أيضاً لا يقعون في الزنا وإنما يقتصرون على الحلال في ذلك الأمر ، ثم بين الحق جل وعلا عقوبة من يفعل هذه الأشياء بأنه يلق عقاباً شديداً على فعله هذا ، فيوم القيامة يُضاعف له العذاب ويخلد في هذا العذاب مهاناً ذليلاً ، وهذا في شأن من جمع بين هذه الثلاثة أو إحداها مع الكفر ، أما عصاة المسلمين فأمرهم إلى الله عز وجل إن شاء عذب وإن شاء غفر ، ثم بين الحق جل وعلا في ختام الآيات أن من تاب من هؤلاء وآمن وعمل عملاً صالحاً ، فإن الله تعالى يبدل سيئاته حسنات ويقبل توبته ، وهذا من عظيم رحمة الله تعالى وكرمه وإحسانه .

---

(١) صحيح مسلم – كتاب التوبة – باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله – حديث رقم (٢٧٦٦) ج٤ ص ٢١١٩ .

المبحث السابع : الصفات : التاسعة والعاشرة والحادية عشرة لعباد الرحمن .

ويصورها قوله تعالى : " وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾" (الفرقان : ٧٢ : ٧٤) .

المناسبة بين هذه الآيات وما قبلها وبين بعضها البعض :

لما مدحهم الله تعالى قبل هذه الآية بترك الزنا ناسب أن يمدحهم هنا بنفي شهادتهم للزور وإعراضهم عن اللغو الذي هو أعظم مقدمات الزنا .

ثم لما ذكر وصفهم الذي فاقوا به أشار إلى وصف الجهلة الذي سفلوا به فقال : {والذين إذا ذكروا} .

ثم لما ذكر أنهم يطلبون خير الدين فيما تقدم ناسب أن يبين أنهم يطلبون أيضا خير الدنيا كذلك فقال : {والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا} (١) .

القراءات الواردة في الآيات :

(واختلفوا) في : وذرياتنا ، فقرأ المدنيان، وابن كثير ، ويعقوب ، وابن عامر ، وحفص بالألف على الجمع ، وقرأ الباقون بغير ألف على الإفراد (٢) . والقراءتان متواترتان .

---

(١) يُنظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي ج١٣ صـ ٤٣٢ وما بعدها .

(٢) النشر في القراءات العشر للإمام ابن الجزري ج٢ صـ ٣٣٥ ، ويُنظر إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للإمام الدمياطي صـ ٤١٩ .

معاني المفردات :

{لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ}: أَي لا يؤدون الشهادة الكاذبة الباطلة، و (الزُّورَ): الباطل.

{يَخِرُّوا}: من الخرور، وهو السقوط على غير نظام.

{قُرَّةَ أَعْيُنٍ}: من القُرّ – بالضم – وهو: البرد، كناية عن السرور؛ لأنهم يقولون: دمعة السرور باردة، ودمعة الحزن ساخنة، وقيل: من القرار، لأن السرور تقر به العين وتسكن، والحزن يضطرب له النظر ويزيغ، ولفظ: (الأَعين) استعمل في القرآن كله في العين الباصرة، ولفظ: (عيون) استعمل في العين الجارية. (إمَامًا): قدوة يقتدون بنا في إقامة مراسم الدين، ولفظ: (إمام) يستعمل في المفرد والجمع، وهو في هذا المقام يراد به الجمع، وروى عن مجاهد أَن: (إمَامًا): جمع آم، بمعنى قاصد، كصيام جمع صائم، وكذلك ذكر في القاموس (١) .

التفسير بالقرآن الكريم والحديث الشريف :

تبين هذه الآيات ثلاث صفات لعباد الرحمن :

الصفة الأولى : أنهم لا يشهدون الزور ، وقد اختلف فيه العلماء فقالوا بأن المراد لا يشهدون الشرك وعبادة الأوثان ، أو أعياد المشركين ، أو اللهو والغناء ، أو الكذب والفسق واللغو والباطل ، أو مجالس السوء والخنا،

(١) التفسير الوسيط لمجموعة من العلماء تحت إشراف مجمع البحوث الإسلامية ج٧ صـ ١٥٤٥ ، ١٥٤٦ .

أو شرب الخمر وقيل : المراد شهادة الزور، وهي الكذب متعمداً على غيره (١) .

وقد جاءت أحاديث عن النبي ﷺ تؤكد على بعض هذه المعاني ، منها :

١ – ما أخرجه الحاكم قال : حدثنا أبو زكريا يحيى بن محمد العنبري ثنا محمد بن عبد السلام والحسين بن محمد القباني وإبراهيم بن أبي طالب قالوا حدثنا إسحاق بن إبراهيم أنبأ معاذ بن هشام حدثني أبي عن عطاء عن أبي الزبير عن جابر – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته الحمام ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمئزر ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يدار عليها الخمر " (٢)

---

(١) يُنظر تفسير ابن كثير ج٦ صـ ١٣٠ .

(٢) المستدرك على الصحيحين –كتاب الأدب – حديث رقم (٧٧٧٩) ج٤ صـ ٣٢٠ ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .

قال الحافظ الذهبي في التلخيص : على شرط مسلم ، يُنظر السابق نفس الجزء والصفحة .

والحديث أخرجه الإمام الترمذي في سننه –كتاب الأدب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم – باب ما جاء في دخول الحمام – حديث رقم (٢٨٠١) ج٥ صـ ١١٣ .

والإمام أحمد في مسنده – مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه – حديث رقم (١٤٦٩٢) ج٣ صـ ٣٢٩ .

والإمام النسائي في السنن الكبرى –كتاب آداب الأكل – النهي عن الجلوس على مائدة يدار عليها الخمر – حديث رقم (٦٧٤١) ج٤ صـ ١٧١ .

والإمام الطبراني في المعجم الأوسط – حديث رقم (٥٨٨) ج١ صـ ١٨٦ .

٢ – ما أخرجه الإمام البخاري قال : حدثنا مُسَدَّدٌ حدثنا بِشْرُ بن الْمُفَضَّلِ حدثنا الْجُرَيْرِيُّ عن عبد الرحمن بن أبي بَكْرَةَ عن أبيه – رضي الله عنه – قال : قال النبي ﷺ : " ألا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ثَلَاثًا ، قالوا : بَلَى يا رَسُولَ اللَّهِ قال : الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، وَجَلَسَ وكان مُتَّكِئًا فقال : ألا وَقَوْلُ الزُّورِ قال : فما زَالَ يُكَرِّرُهَا حتى قُلْنَا : لَيْتَهُ سَكَتَ " (١) .

أما عجز الآية فيبين أنهم إذا مروا باللغو مروا كراماً ، وقد جاء التأكيد على هذا المعنى في قوله تعالى : " وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ " (**القصص : ٥٥**) .

الصفة الثانية : أنهم إذا ذُكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صُماً وعمياناً ، وقد جاء هذا المعنى في القرآن الكريم في أكثر من آية ، منها : قوله تعالى : " إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ " (**الأنفال : ٢**) ، وقوله تعالى : " وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ " (**التوبة : ١٢٤ : ١٢٥**) ، وقوله تعالى : " ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ

---

(١) صحيح البخاري – كتاب الشهادات – باب ما قيل في شهادة الزور – حديث رقم (٢٥١١) ج٢ صـ ٩٣٩ .

ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ " (**الزمر : ٢٣**) .

الصفة الثالثة : أنهم يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً ، وقد ورد الدعاء للذرية في قول إبراهيم عليه السلام الذي حكاه الله تعالى فقال : " رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ " (**إبراهيم : ٣٧**) ، **وورد الدعاء بصلاح الذرية في قوله تعالى :** " وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهًا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهًاۖ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحًا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ " (**الأحقاف : ١٥**) ، **وورد دعاء زكريا عليه السلام أن يرزقه الله تعالى بالذرية الصالحة ، وأن الله تعالى قد استجاب له ووهب له يحي وأصلح له زوجه في قوله تعالى :** " وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدًا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ " (**الأنبياء : ٨٩ : ٩٠**) .

التفسير بأقوال الصحابة والتابعين :

اختلف أهل التأويل في معنى الزور الذي وصف الله هؤلاء القوم بأنهم لا يشهدونه :

١ – قيل بأنه الشرك ، وبه قال : الضحاك ، وابن زيد .

٢ – أعياد المشركين ، وبه قال : ابن عباس .

٣ – الغناء ، وبه قال : مجاهد ، والحسن .

٤ – الكذب ، وبه قال : قتادة ، وابن جريج .

٥ – مجالس السوء ، وبه قال : عمرو بن قيس الملائي (١) .

واختلف أهل التأويل في معنى اللغو الذي ذُكر في هذا الموضع على أقوال :

١ – ما كان المشركون يقولونه للمؤمنين , ويكلموهم به من الأذى. ومرورهم به كراماً إعراضهم عنهم وصفحهم ، وبه قال : مجاهد .

٢ – إذا مروا بما كان المشركون فيه من الباطل مروا منكرين له ، وبه قال : ابن زيد .

٣ – المعاصي كلها ، وبه قال : الحسن (٢) .

أما قوله تعالى " وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا "

فمعناه : والذين إذا ذكرهم مذكر بحجج الله، لم يكونوا صماً لا يسمعون، وعمياً لا يبصروها ولكنهم يقاظ القلوب، فهماء العقول، يفهمون عن الله ما يذكرهم به، ويفهمون عنه ما ينبههم عليه، فيوعون مواعظه آذانا

(١) يُنظر تفسير الطبري ج١٧ صـ ٥٢١ وما بعدها ، والدرر المنثور في التفسير بالمأثور للإمام السيوطي ج٦ صـ ٢٨٢ ، ٢٨٣ .

(٢) يُنظر تفسير الطبري ج١٧ صـ ٥٢٣ ، وما بعدها ، والدرر المنثور في التفسير بالمأثور للإمام السيوطي ج٦ صـ ٢٨٣ ، ٢٨٤ .

سمعته، وقلوباً وعته ، وبنحو هذا قال جماعة من أهل التأويل كمجاهد ، والشعبي ، وابن زيد (١) .

أما قوله تعالى " وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ " فمعناه : والذين يرغبون إلى الله في دعائهم ومسألتهم بأن يقولوا: ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا ما تقر به أعيننا من أن تريناهم يعملون بطاعتك ، وبنحو ذلك قال جماعة من أهل التأويل كابن عباس ، والحسن ، وابن جريج ، وابن زيد (٢) .

أما قوله تعالى " وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا " فقد اختلف فيه أهل التأويل على أقوال :

١ – اجعلنا أئمة يقتدي بنا من بعدنا ، وبه قال : ابن عباس .

٢ – اجعلنا للمتقين إماما: نأتم بهم، ويأتم بنا من بعدنا ، وبه قال : مجاهد (٣) .

---

(١) يُنظر تفسير الطبري ج١٩ صـ ٣١٦ ، ٣١٧ ، والدرر المنثور في التفسير بالمأثور للإمام السيوطي ج٧ صـ٣٧٧ ، ٣٧٨ .

(٢) يُنظر تفسير الطبري ج١٩ صـ ٣١٨ ، ٣١٩ ، والدرر المنثور في التفسير بالمأثور للإمام السيوطي ج ٧ صـ ٣٧٨ ، ٣٧٩ .

(٣) يُنظر تفسير الطبري ج١٩ صـ ٣١٩ ، ٣٢٠ .

المعنى الإجمالي للآيات :

ذكرت هذه الآيات ثلاث صفات لعباد الرحمن :

الأولى : أنهم لا يشهدون مجالس الباطل بجميع أنواعه وإذا صادف أن مروا بها أو حضروها كان مرورهم كمرور الكرام أو قاموا عنها ولم يجلسوا فيها .

الثانية : أنهم إذا ذكروا بآيات الله عزوجل تذكروا ، ولم يصموا آذانهم عن سماعها ، وإنما تدبروها وعقلوا ما فيها ، بخلاف الكفار الذين يصمون آذانهم ويعمون أعينهم عنها .

الثالثة : أنهم يدعون الله عزوجل أن يُقر أعينهم بأزواجهم وذرياتهم ، ويبارك لهم فيهم ، وأن يجعلهم أئمة للمتقين يُقتدى بهم .

المبحث الثامن : الجزاء الذي أعده الله تعالى لمن اتصف بهذه الصفات

ويصوره قوله تعالى : " أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٧٦﴾ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا ﴿٧٧﴾ " (الفرقان : ٧٥ : ٧٧)

المناسبة بين هذه الآيات وما قبلها وبين بعضها البعض :

لما بين الله تعالى فيما سبق صفات عباد الرحمن التي هي ضد صفات الكافرين ، تشوف السامع إلى بيان جزائهم الذي أعده الله لهم فبينه الله تعالى هنا ، ثم لما كان المنزل لا يطيب إلا بالسلامة ناسب أن يذكر ما يلقونه من الله تعالى والملائكة وغيرهم في قوله { ويلقون فيها تحية وسلاماً } ، ولما ذكر حكم عباد الرحمن وأنهم يدعون الله تعالى ناسب أن يذكر حكم عباد الشيطان الذين لا يعبدونه وأنه لا يعبأ بدعائهم فقال : { قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاماً }(١) .

القراءات الواردة في هذه الآيات :

(واختلفوا) في: ويُلقَّون فقرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر بفتح اللام وتخفيف القاف، وقرأ الباقون بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف (٢) .

والقراءتان متواترتان .

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي ج٦ صـ ٤٨ ، و يُنظر تفسير أبي السعود ج٥ صـ ١٢٥ .

(٢) النشر في القراءات العشر للإمام ابن الجزري ج٢ صـ ٣٣٥ ، ويُنظر إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للإمام الدمياطي صـ ٤١٩ .

معاني المفردات :

{أُولَئِكَ}: إشارة إلى الموصوفين بجميع الصفات السابقة، وهو مبتدأ خبره الجملة التي بعده وما عطف عليها، وجملة أُولئك يجزون ... إلخ خبر عن (عباد الرحمن).

{الْغُرْفَةَ}: الدرجة العالية من المنازل، وكل بناءٍ مرتفع، وقيل: أَعلى منازل الجنة، و"ال" فيها للجنس، والمراد بالغرفة الجمع، فألْ فيه للاستغراق ليوافق قوله تعالى: {وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ}.

{تَحِيَّةً}: دعاء بإطالة الحياة.

{وَسَلَامًا}: دعاء بالسلامة من كل ما ينغص عليهم طيب إقامتهم (١)

{مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي}: ما استفهامية، والمعنى: أَيُّ عبءٍ يعبأُ بكم ربي، وأَى اعتداد يعتد بكم؟ تقول: ما عبأْت به، أَي: ما اكترثت.

{لِزَامًا}: لازمًا ثابتًا لا ينفك (٢) .

التفسير بالقرآن :

يبين الحق سبحانه وتعالى في هذه الآيات الجزاء الذي أعده لعباد الرحمن الذين اتصفوا بالصفات السابقة فيبين أولاً أنهم : " يجزون الغرفة بما صبروا " وقد بين الحق جل وعلا في موضع آخر أنها غرفات وليست غرفة واحدة فقال : " وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ " (سبأ : ٣٧) .

ويبين ثانيا بأنهم : " يُلَقَّون فيها تحية وسلاما " ، وهذا المعنى جاء في عديد من الآيات ، منها :

---

(١) التفسير الوسيط لمجموعة من العلماء تحت إشراف مجمع البحوث الإسلامية ج٧ صـ ١٥٤٨ .

(٢) السابق ج٧ صـ ١٥٥٠ .

قوله تعالى " إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ " (**يونس : ٩ : ١٠**) ، و **قوله تعالى** " وَأُدۡخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡۖ تَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌ " (**إبراهيم : ٢٣**) ، و **قوله تعالى** " تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمٗا " (**الأحزاب : ٤٤**) ، **وقوله تعالى** " وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ " (**الزمر : ٧٣**).

ويبين ثالثاً أنهم " خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاماً " ، وقد أكد الله عزوجل هذا المعنى في كثير من الآيات ، منها :

قوله تعالى : " لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ " (**آل عمران : ١٩٨**) ، **وقوله تعالى** : " وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ " (**التوبة : ٧٢**) ، **وقوله تعالى** : " وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ " (**هود : ١٠٨**) .

وأما ختام الآيات فيبين فيه الحق جل وعلا حال المكذبين الذين كذبوا به وبرسله بأنه لا يعبأ بهم ؛ وذلك بسبب تكذيبهم ؛ وهم لذلك يستحقون العذاب ، وقد أكد الله تعالى هذا المعنى في كثير من الآيات ، منها : قوله تعالى

: " إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ " (**البقرة : ١٦١ : ١٦٢**) ، **وقوله تعالى** : " وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِىَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ " (**التوبة : ٦٨**) ، **وقوله تعالى** : " فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ " (**هود : ١٠٦ : ١٠٧**) .

التفسير بالحديث الشريف :

تبين هذه الآيات الجزاء الذي أعده الله تعالى لعباد الرحمن ، فبينت أولا أنهم يجزون الغرفة بما صبروا ، وقد بين النبي ﷺ أنها من أعلى منازل الجنة ، ويدل على ذلك ما أخرجه الإمام البخاري قال : حدثنا عبد الْعَزِيزِ بن عبد اللَّهِ قال حدثني مَالِكُ بن أَنَسٍ عن صَفْوَانَ بن سُلَيْمٍ عن عَطَاءِ بن يَسَارٍ عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال : " إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ من فَوْقِهِمْ كما تتراءون الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ في الْأُفُقِ من الْمَشْرِقِ أو الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ ما بَيْنَهُمْ ، قالوا : يا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ ، قال : بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بيده رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ (١)

وبينت ثانيا أنهم يلقون فيها تحية وسلاماً ، وقد أكد النبي ﷺ هذا المعنى ، ويدل على ذلك ما أخرجه الحاكم قال : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب

---

(١) صحيح البخاري – كتاب بدء الخلق – باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة – حديث رقم (٣٠٨٣) ج٣ ص ١١٨٨ .

حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أنبأ بن وهب أنبأ عمرو بن الحارث أن أبا عشانة المعافري حدثه أنه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنه – يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إن أول ثلة تدخل الجنة الفقراء المهاجرون الذين تتقي بهم المكاره ، إذا أمروا سمعوا وأطاعوا ، وإن كانت لرجل منهم حاجة إلى السلطان لم تُقض له حتى يموت وهي في صدره ، وإن الله تعالى يدعو يوم القيامة الجنة فتأتي بزخرفها وريها فيقول : أين عبادي الذين قاتلوا في سبيل الله وقتلوا في سبيلي وأوذوا في سبيلي وجاهدوا في سبيلي ؟ ادخلوا الجنة ، فيدخلونها بغير حساب ولا عذاب ، فتأتي الملائكة فيقولون : ربنا نحن نسبح لك الليل والنهار ونقدس لك ، من هؤلاء الذين آثرتهم علينا ؟ فيقول الرب تبارك وتعالى : هؤلاء الذين قاتلوا في سبيلي وأوذوا في سبيلي ، فتدخل عليهم الملائكة من كل باب : سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار " (١).

ثم بينت ثالثاً أنهم خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاماً ، وقد أكد النبي ﷺ ذلك في كثير من الأحاديث ، منها : ما أخرجه الإمام البخاري قال : حدثنا عَلِيُّ بن عبد اللَّهِ حدثنا يَعْقُوبُ بن إبراهيم حدثنا أبي عن صَالِحٍ حدثنا نَافِعٌ عن ابن عُمَرَ – رضي الله عنهما – عن النبي ﷺ قال : يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ

---

(١) المستدرك على الصحيحين – كتاب الجهاد – حديث رقم (٢٣٩٣) ج٢ صـ ٨١ ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

قال الحافظ الذهبي في التلخيص : صحيح ، يُنظر السابق نفس الجزء والصفحة .

والحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده – مسند عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما – حديث رقم (٦٥٧١) ج٢ صـ ١٦٨ .

الْجَنَّةَ ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ، ثُمَّ يَقُومُ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ : يا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ ، وَيَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ خُلُودٌ " (١) .

ونفس المعنى فيما أخرجه الإمام مسلم قال : " حدثنا زُهَيْرُ بن حَرْبٍ وَالْحَسَنُ بن عَلِيٍّ الْحُلْوَانِيُّ وَعَبْدُ بن حُمَيْدٍ قال عَبْدٌ أخبرني وقال الْآخَرَانِ حدثنا يَعْقُوبُ وهو بن إبراهيم بن سَعْدٍ حدثنا أبي عن صَالِحٍ حدثنا نَافِعٌ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ قال : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال : " يُدْخِلُ الله أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ ، ثُمَّ يَقُومُ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ فيقول : يا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ ، كُلٌّ خَالِدٌ فِيمَا هو فيه (٢) .

أما عن قمة السعادة والرضا التي يشعر بهما أهل الجنة ، فيبينها النبي ﷺ فيما أخرجه الإمام البخاري ، قال : حدثنا مُعَاذُ بن أَسَدٍ أخبرنا عبد اللَّهِ أخبرنا مَالِكُ بن أَنَسٍ عن زَيْدِ بن أَسْلَمَ عن عَطَاءِ بن يَسَارٍ عن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قال : قال رسول اللَّهِ ﷺ : " إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يقول لِأَهْلِ الْجَنَّةِ : يا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، فَيَقُولُونَ : لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ ، فيقول : هل رَضِيتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : وما لنا لَا نَرْضَى وقد أَعْطَيْتَنَا ما لم تُعْطِ أَحَدًا من خَلْقِكَ ، فيقول

---

(١) صحيح البخاري – كتاب الرقاق – باب يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب – حديث رقم (٦١٧٨) ج٥ صـ ٢٣٩٦ .

والحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه – كتاب صفة القيامة والجنة والنار – باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف كما يرى الكوكب في السماء – حديث رقم (٢٨٣١) ج٤ صـ ٢١٧٧ .

(٢) صحيح مسلم – كتاب صفة القيامة والجنة والنار – باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء – حديث رقم (٢٨٥٠) ج٤ صـ ٢١٨٩ .

: أنا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ من ذلك ، قالوا : يا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ من ذلك ؟ فيقول : أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فلا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا " (١) .

المعنى الإجمالي للآيات :

يبين الحق عز وجل في هذه الآيات الجزاء الذي أعده لعباد الرحمن الذين اتصفوا بالصفات السابقة ، وهو أنهم يدخلون ويسكنون في أعلى منازل الجنة ، كما يُقابَلون فيها بالتحية والسلام ، وهم على هذا الحال يتمتعون بما فيها خالدون فيها مادامت السماوات والأرض إلا ما شاء الله ، وهي بذلك تكون نعم المستقر وأحسنه ، ثم تختم الآيات بالحديث عن الذين أعرضوا وكذبوا رسل الله عز وجل ، مبينة أن الله تعالى لا يهتم بأمرهم؛ لأنه دعاهم عن طريق رسله فكذبوا ، فكان حقاً عليهم عذاب الله تعالى ، وعذابه أليم شديد .

---

(١) صحيح البخاري – كتاب الرقاق – باب صفة الجنة والنار – حديث رقم (٦١٨٣) ج٥ صـ ٢٣٩٨ .

والحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه – كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها – باب إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبداً – حديث رقم (٢٨٢٩) ج٤ صـ ٢١٧٦ .

الخاتمة

بعد أن طُفت في رحاب أواخر سورة الفرقان ، وقطفت من رياحينها ، وشممت عطر أزهارها ، وبعد تناولي لهذه الآيات التي تصف عباد الرحمن ، ومحاولتي المتواضعة لإلقاء الضوء على تلك الصفات ، التي استحق بها هؤلاء دخول أعلى الجنان ، خلصت إلى بعض النتائج الآتية :

أولاً : أن دين الإسلام ، الذي ارتضاه الله تعالى للعالمين ، وختم به الرسالات السماوية ، قد دعا إلى الفضائل والأخلاق الحسنة ، وحذر من الرذائل والأخلاق القبيحة .

ثانياً : أن القرآن والسنة ، وهما دستور هذه الأمة ، قد تنوعت أساليبهما في الدعوة إلى التحلي بالأخلاق والفضائل .

ثالثاً : أن الأمة الإسلامية لو امتثلت لتعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية ، لتغير حالها كثيراً ، ولأفاقت من رقادها ، وسادت العالم كله ، كما كانت قبل ذلك .

رابعاً : أن المسلمين لو طبقوا ما في القرآن والسنة عملياً ، بعد معرفته نظرياً ، لأصبحوا خير دعاة لدين الله عز وجل ، ولانتشر الإسلام في ربوع الأرض كلها ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً ، كما فعل سلفنا الصالح عليهم رضوان الله ، وقديماً قيل : فعل رجل في ألف رجل أبلغ من قول ألف رجل في رجل .

خامساً : أن الجزاء من جنس العمل ، فقد جاهد عباد الرحمن أنفسهم أشد المجاهدة حتى يتحلوا بهذه الصفات ، فاستحقوا بذلك أن يدخلوا الجنة ، وأن يكونوا في أعلى درجاتها .

سادساً : لابد للمسلم أن يكون عالي الهمة ، وألا يقنع باليسير ، بل يطلب العُلا من الجنة ، ويسلك في تحقيق ذلك كل السُّبُل ، حتى يصل إلى غايته المنشودة ، وأن يكون شأنه كذلك في كل حياته وأموره الدنيوية والأُخروية ، تطبيقاً لتوجيهات النبي صلى الله عليه وسلم ، أخرج الإمام البخاري قال : حدثنا يحيى بن صَالِحٍ حدثنا فُلَيْحٌ عن هِلَالِ بن عَلِيٍّ عن عَطَاءِ بن يَسَارٍ عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال : قال رسول اللَّهِ ﷺ : " من آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَصَامَ رَمَضَانَ كان حَقًّا على اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ جَاهَدَ في سَبِيلِ اللَّهِ أو جَلَسَ في أَرْضِهِ التي وُلِدَ فيها ، فَقَالُوا : يا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نُبَشِّرُ الناس ؟ قال : إِنَّ في الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا الله لِلْمُجَاهِدِينَ في سَبِيلِ اللَّهِ ، ما بين الدَّرَجَتَيْنِ كما بين السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، فإذا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ ؛ فإنه أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرحمن وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ " قال محمد بن فُلَيْحٍ عن أبيه : وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرحمن (١) .

---

(١) صحيح البخاري –كتاب الجهاد والسير – باب درجات المجاهدين في سبيل الله – حديث رقم (٢٦٣٧) ج٣ صـ ١٠٢٨ .

المصادر والمراجع

١ ـ **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر** ، للإمام شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي ، تحقيق / أنس مهرة ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م .

٢ ـ **الإتقان في علوم القرآن** ، للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين السيوطي المتوفى ٩١١ هـ ، تحقيق / سعيد المندوب ، دار الفكر – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م .

٣ ـ **الأدب المفرد** ، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي ، تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي ، دار البشائر الإسلامية – بيروت ، الطبعة الثالثة.

٤ ـ **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** ، للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي المتوفى ١٣٩٣ هـ ، دار الفكر للطباعة والتوزيع – بيروت ، ١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥ م .

٥ ـ **التحرير والتنوير** ، للإمام محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي المتوفى ١٣٩٣ هـ ، مؤسسة التاريخ العربي – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م .

٦ ـ **تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)** ، للإمام أبي سعيد ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي المتوفى ٦٨٥ هـ ، تحقيق / محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٧ ـ **تفسير الخازن** (**لباب التأويل في معاني التنزيل**) ، للإمام أبي الحسن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي المعروف بالخازن ، تصحيح / محمد علي شاهين ، دار الكتب العلمية – بيروت .

٨ ـ **تفسير الرازي** (**مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير**) ، للإمام أبي عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي خطيب الري المتوفى ٦٠٦ هـ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٢٠ هـ .

٩ ـ **تفسير الزمخشري** (**الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**) ، للإمام أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، تحقيق / عبد الرزاق مهدي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

١٠ـ **تفسير أبي السعود** (**إرشادالعقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**) ، للإمام أبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي المتوفى ٩٨٢ هـ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

١١ ـ **تفسير السمرقدني** (**بحر العلوم**) ، للإمام أبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقدني المتوفى ٣٧٣ هـ .

١٢ ـ **تفسير الشعراوي** (**الخواطر**) ، للشيخ محمد متولي الشعراوي المتوفى ١٤١٨ هـ ، مطابع أخبار اليوم ، ١٩٩٧ م .

١٣ ـ **تفسير ابن عطية** (**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**) ، للإمام أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي المتوفى ٥٤٢ هـ ، تحقيق / عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية – بيروت .

١٤ ـ **تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن)** ، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري المتوفى ٣١٠ هـ ، تحقيق / أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠ م .

١٥ ـ **تفسير القاسمي (محاسن التأويل)** ، للإمام جمال الدين محمد بن محمد سعيد بن قاسم القاسمي المتوفى ١٣٣٢ هـ ، تحقيق / محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية – بيروت .

١٦ ـ **التفسير القرآني للقرآن** ، للشيخ عبد الكريم بن يونس الخطيب المتوفى ١٣٩٠ هـ ، دار الفكر العربي – القاهرة .

١٧ ـ **تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)** ، للإمام أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي المتوفى ٧٧٤ هـ ، تحقيق / محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية – بيروت .

١٨ ـ **التفسير المظهري** ، للإمام ثناء الله محمد المظهري ، تحقيق / غلام نبي التونسي ، مكتبة الرشدية – باكستان ، ١٤١٢ هـ .

١٩ ـ **تفسير النيسابوري (غرائب القرآن ورغائب الفرقان)** ، للإمام نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري المتوفى ٨٥٠ هـ ، تحقيق / زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية – بيروت .

٢٠ ـ **التفسير الوسيط للقرآن الكريم** ، لمجموعة من العلماء تحت إشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، الطبعة الأولى ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣ م .

٢١ ـ **تلخيص المستدرك** ، للإمام محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الدمشقي ، منشور مع كتاب المستدرك للحاكم ، دار الفكر – بيروت ، ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م .

٢٢ ـ **التيسير في القراءات السبع** ، للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر الداني المتوفى ٤٤٤ هـ ، تحقيق أوتو تريزل ، دار الكتاب العربي – بيروت .

٢٣ ـ **الجامع الصغير من حديث البشير النذير** ، للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين السيوطي المتوفى ٩١١ هـ .

٢٤ ـ **جزء أشيب** ، للإمام أبي علي الحسن بن موسى الأشيب البغدادي المتوفى ٢٠٩ هـ ، دار علوم الحديث – الفجيرة ، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م .

٢٥ ـ **الحجة في القراءات السبع** ، المنسوب للإمام أبي عبد الله الحسن بن أحمد بن خالويه ، تحقيق / د . عبد العال سالم مكرم ، دار الشروق – بيروت ، الطبعة الرابعة ١٤٠١ هـ .

٢٦ ـ **حجة القراءات** ، للإمام أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ .

٢٧ ـ **دراسات في علوم القرآن** ، للدكتور / محمد بكر إسماعيل المتوفى ١٤٢٦ هـ ، دار المنار ، الطبعة الثانية ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م .

٢٨ ـ **الدر المنثور في التفسير بالمأثور** ، للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين السيوطي المتوفى ٩١١ هـ ، دار الفكر – بيروت .

٢٩ ـ **زاد المسير في علم التفسير** ، للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي المتوفى ٥٩٧ هـ ، تحقيق / عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ .

٣٠ ـ **السبعة في القراءات** ، للإمام أبي بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي المتوفى ٣٢٤ هـ ، تحقيق / شوقي ضيف ، دار المعارف – مصر ، الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ

٣١ ـ **سنن البيهقي الكبرى** ، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي المتوفى ٤٥٨ ، تحقيق / محمد عبد القادر عطا ، مكتبة دار الباز – مكة المكرمة ، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م .

٣٢ ـ **سنن الترمذي** ، للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي المتوفى ٢٧٩ هـ ، تحقيق / أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٣٣ ـ **سنن أبي داود** ، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي المتوفى ٢٧٥ هـ ، تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر .

٣٤ ـ **السنن الكبرى** ، للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي المتوفى ٣٠٣ هـ ، تحقيق / د . عبد الغفار سليمان البنداري – سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م .

٣٥ ـ **سنن ابن ماجة ، للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني المتوفى** ٢٧٥ هـ ، تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر – بيروت .

٣٦ ـ **سنن النسائي** (**المجتبى**) ، للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي المتوفى ٣٠٣ هـ ، تحقيق / عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب ، الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م .

٣٧ ـ **الشاطبية** (**حرز الاماني ووجه التهاني في القراءات السبع**) ، للإمام أبي محمد القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد الرعيني الشاطبي المتوفى ٥٩٠ هـ ، تحقيق / محمد تميم الزغبي ، مكتبة دار الهدى ودار الغوثاني للدراسات القرآنية ، الطبعة الرابعة ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م .

٣٨ ـ **صحيح البخاري** (**الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**) للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي المتوفى ٢٥٦ هـ ، تحقيق / د . مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير واليمامة – بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .

٣٩ ـ **صحيح ابن حبان** ، للإمام أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي المتوفى ٣٥٤ هـ ، تحقيق / شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة الثانية .

٤٠ ـ **صحيح ابن خزيمة** ، للإمام أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري المتوفى ٣١١ هـ ، تحقيق / د . محمد مصطفى الأعظمي ، المكتب الإسلامي – بيروت ، ١٣٩٠ هـ – ١٩٧٠ م .

٤١ ـ **صحيح مسلم** ، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري المتوفى ٢٦١ هـ ، تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث – بيروت

٤٢ ـ **صفوة التفاسير** ، للشيخ محمد علي الصابوني ، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م .

٤٣ ـ **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير** ، للإمام محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني المتوفى ١٢٥٠ هـ ، دار ابن كثير – بيروت ، دار الكلم الطيب – دمشق ، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ .

٤٤ ـ **قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن** ، للإمام مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرمي المقدسي الحنبلي المتوفى ١٠٣٣ هـ ، تحقيق / سامي عطا حسن ، دار القرآن الكريم – الكويت .

٤٥ ـ **مباحث في علوم القرآن** ، للشيخ مناع بن خليل القطان المتوفى ١٤٢٠ هـ ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة ١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م .

٤٦ ـ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** ، للإمام علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى ٨٠٧ هـ ، دار الريان للتراث – القاهرة ، دار الكتاب العربي – بيروت .

٤٧ ـ **المستدرك على الصحيحين** ، للحاكم أبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري المتوفى ٤٠٥ هـ ، تحقيق / مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ – ١٩٩٠ م .

٤٨ ـ **مسند أحمد بن حنبل** ، للإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني المتوفى ٢٤١ هـ ، مؤسسة قرطبة – مصر .

٤٩ ـ **مسند إسحاق بن راهوية** ، للإمام إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهوية الحنظلي المتوفى ٢٣٨ هـ ، تحقيق / د . عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي ، مكتبة الإيمان – المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ ، ١٩٩١ م .

٥٠ ـ **مسند الشاميين** ، للإمام أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني المتوفى ٣٦٠ هـ ، تحقيق / حمدي عبد المجيد السلفي ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٤ م .

٥١ ـ **مسند عبد بن حميد** ، للإمام أبي محمد عبد بن حميد بن نصر الكسي المتوفى ٢٤٩ هـ ، تحقيق / صبحي البدري السامرائي – محمود محمد خليل الصعيدي ، مكتبة السنة – القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .

٥٢ ـ **مسند أبي يعلى الموصلي** ، للإمام أبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي المتوفى ٣٠٧ هـ ، تحقيق / حسين سليم أسد ، دار المأمون للتراث – دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م .

٥٣ ـ **مصنف عبد الرزاق** ، للإمام أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني المتوفى ٢١١ هـ ، تحقيق / حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ .

٥٤ ـ **المعجم الأوسط** ، للإمام أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني المتوفى ٣٦٠ هـ ، تحقيق / طارق بن عوض الله بن محمد – عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، دار الحرمين – القاهرة ، ١٤١٥ هـ .

٥٥ ـ **المعجم الصغير (الروض الداني)** ، للإمام أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني المتوفى ٣٦٠ هـ ، تحقيق / محمد شكور محمود الحاج أمرير ، المكتب الإسلامي – بيروت ودار عمار – عمان ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥ م .

٥٦ ـ **المعجم الكبير** ، للإمام أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني المتوفى ٣٦٠ هـ ، تحقيق / حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة الزهراء – الموصل ، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٣ م .

٥٧ ـ **مناهل العرفان في علوم القرآن** ، للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني المتوفى ١٣٦٧ هـ ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، الطبعة الثالثة .

٥٨ ـ **ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه** ، للإمام أبي القاسم هبة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم بن البازري الجهني الحموي المتوفى ٧٣٨ هـ ، تحقيق / حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الرابعة ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م .

٥٩ ـ **ناسخ القرآن ومنسوخه** ، للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي المتوفى ٥٩٧ هـ ، تحقيق / أبي عبد الله العاملي السلفي الداني بن منير آل زهوى ، شركة أبناء شريف الأنصاري – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م .

٦٠ ـ **الناسخ والمنسوخ** ، للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحاس ، تحقيق / د . محمد عبد السلام محمد ، مكتبة الفلاح – الكويت ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ

٦١ ـ **الناسخ والمنسوخ** ، للإمام هبة الله بن سلامة بن نصر المقري ، تحقيق / زهير الشاويش – محمد كنعان ، المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ .

٦٢ ـ **الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم** ، للإمام أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري المتوفى ٤٥٦ هـ ، تحقيق / د . عبد الغفار سليمان البنداري ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م .

٦٣ ـ **النشر في القراءات العشر** ، للإمام أبي الخير شمس الدين محمد بن محمد بن يوسف الجزري المتوفى ٨٣٣ هـ ، تصحيح ومراجعة / علي محمد الضباع ، دار الفكر – بيروت .

٦٤ ـ **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور** ، للإمام إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي المتوفى ٨٨٥ هـ ، دار الكتاب الإسلامي – القاهرة .